المائة السادسة

١٤٠ — يحيي بن تميم بن المعز الصنهاجى ، أبو على

أمير إفريقية . ملَك بعد أبيه تميم فى منتصف رجب سنة إحدى وخمسمائة ، وتوفى ثانى عيد الفطر سنة سبع وخمسمائة ، وتخلف من الولد الذكور نيفاً وثلاثين .

ولم يطل أمد ولايته . استغرقت عمره إمارة أبيه فلم يرث سلطانه إلا وهو ابن ثلاث وأربعين وسبعة أشهر إلا أياما .

مولده بالمهدية لأربع بقين من ذى القعدة سنة سبع وخمسين وأربعمائة ، وبرز للناس راكبا ، ثم عاد إلى قصره فخلع على وزرائه خلعا نفيسة ، ووهب للأجناد والعبيد أموالا جمة ، ومما أنشد فى ذلك اليوم :

سقى الغيثُ قبراً ضم أكرمَ مفقود ... يعزّى به فى الناس أفضلُ موجودِ
مضى فائزاً بالخلد أفضلُ والدٍ ... وشرّف هذا المُلك أشرفُ مولودِ
وأحياه يحيي من ردى كل مُلحدٍ ... وولّى تميمٌ عنه أكرمُ ملحودِ
فقد طابت الدنيا بأعلى مؤيَّدٍ ... كما فازت الأخرى بأكرم موعودِ
أرى النشأةَ الأولى أعيدت فأقبلت ... بمُلك سليمانَ وفقدانِ داوودِ

وليحيي هذا شعر ضعيف منه قوله :

ألا يا منتهى طـــربى ومَن لم يَعْدُها أربى
إذا ما كنتِ حاضرةً شربتُ الراحَ بالنُّخَبِ
ومهما غبتِ عن بصرى فواحَـــزَنى وواحَرَبى
فجودى بالوصال على شريف القدر والحسب
وسَقِّيـــه معتَّقةً لهـــا تاج من الحَبَب
مليكٌ مُلِّـكتْ كفا ه رِقَّ العُجْم والعَرب

وله :

ألا حبذا يومُنا بالحِمَى وقد قارن القمرُ المشترِى
وجاء الحبيبُ إلى منزلى بريّا القرنفُلِ والعنبرِ
[١٤٣-ب] / وغنت لنا قينة حلوة بنظم من الشعر كالجوهر
إذا كان حبى حِذا ناظرى شربتُ المُدامَ ولم أسكَرِ

قال أبو الصلت : وكنا بين يديه فى يوم من شعبان شديد البرد فقال بديهاً :

أما ترى القَرَّ قد وافتْ عساكرُه فادفعْه منتصراً بالفَرْوِ والشَّرَرِ
وقهوةٍ عُتِّقت فى الدَّنِّ صافيةٍ يصفّو بها عيشُ حاسيها من الكدر

وقال لى ولبعض كتابه : « أجيزا » ، فعملنا على جهة الاشتراك ، وجُلُّه للكاتب :

يا مَن حُلاه جمال الكُتْب والسِّيَرِ ومَن ندى يدِه مُغنٍ عن المطرِ
ذَعَرْتَ عبديْكَ لما قلتَ مرتجلا ضَرْباً من الشعر يُعيى أشعرَ البشرِ :

« أما ترى القَرَّ قد وافت عساكرُه » ، البيت والذى بعده .

فطاوعاك وقالا تابِعَين ، ومَن يُجارِ سَحْبانَ لا يأمنْ من الحَصَرِ :

« تسعى عليك بها هيفاء ناعمةٌ تسبي العقولَ بحُسن الدَّلِّ والحَوَر
كأنَّ غُرتَها الغراء شمسُ ضحًى تبدو لعينِك فى ليلٍ من الشَّعَر »

١٤١ — رشيد الدولة أبو يحيى محمد بن عز الدولة أبي مروان عبيد الله بن المعتصم محمد بن مَعن بن صَمادِح

ذَكره أبو عامر السالمى فى تاريخه ، وقال : نشأ بعد انقراض مُلكهم ، فكَلِف بالآداب وبرَّز فيها ، ثم تاق إلى الرئاسة فقُيِّد ، فمن قوله فى السجن :

أحبَّتُنا الكرامُ بَغَوْا علينا وبغيُ المرءِ معطبةٌ ونارُ
وقالوا الهُجْرَ لمّا يعلموهُ وهُجْرُ القولِ مَنقصةٌ وعارُ
صبرتُ على مقارعةِ الدواهى وطبعُ الحرِّ صبرٌ وائتجارُ
/ وقلتُ : لعلها ظُلَمٌ ألمَّت وحالُ الليلِ آخرُها النهارُ [١٤٤-١]
فإنْ يكُنِ الردى يكنِ اصطبارٌ وإن تكنِ [المُنى][1] يكنِ اغتفارُ

وله فى ذلك :

صبراً على نائباتِ الدهرِ إنّ لهُ يوماً كما فتكَ الإصباحُ بالظُّلَمِ
إن كنتَ تعلمُ أن اللهَ مقتدرٌ فثق به تلقَ رُوحَ اللهِ من أمَمِ
وقلما صبر الإنسانُ محتسباً إلا وأصبح فى فضفاضة النِّعَم

---

(١) بياض بالأصل ، وقد أكملها دوزى (أبحاث ، الطبعة الثالثة ، ص ٥٩ من الذيول من الذيل والتكملة لعبد الملك المراكشى ، المخطوط ورقة ١٢٠ ظهر.

وذكر أبو على بن الأشيرى أنه كان مع أبى يحي هذا وعمّه رفيع الدولة بن المعتصم بداخل تِلمسَان ، فى حصارها سنة تسع وثلاثين وخمسمائة — وتاشفين ابن على بن يوسف بن تاشفين فى ذلك الوقت بظاهرها فى محلاته وجموعه — قال : فورد على الموحدين ، أعزهم الله ، فتحٌ ضربوا له طبولَهم[1] . فقال رفيعُ الدولة — وكان مسنًّا — لابن أخيه أبى يحي : لولا كبر سنى وضعفى لكنتُ عندهم ، حرصاً عليهم ونظراً لنفسى . فقال أبو يحي : تعال نقل شعراً نجعله عُدَّة . فقال رفيع الدولة ، وكان ذا بديهة :

لِعبـــــدِ المؤمنِ المَلِكِ يدور السعدُ فى الفَلَكِ

فقال أبو يحي :

همامٌ نورُ غُـــرَّته كضوء البدر فى الحَلَكِ

فقال ابن الأشيرى :

فيمَّنْهُ تجـــدْ مَلِكاً عليه ســـكينةُ المَلَكِ
ولا تجزع فليس له على القُصّاد من دَرَكِ

قال : وشاعت هذه الأبيات و[... ...][2] إلى تلمسان [و بلغت][3] أبا بكر بن مَزْدَلى فخاف قائلوها ، وكان رفيعُ الدولة إذ ذاك مقدَّماً على بنيان سور الرَّبَض منها[4] بحيلة . قال ابن الأشيرى : وكنت أرى فى النوم من يقول

---

(١) روى أبو بكر الصنهاجى المعروف بالبيدق فى كتاب «أخبار المهدى ابن تومرت وابتداء دولة الموحدين» (بتحقيق ليڤى پروڤنسال ، باريس ١٩٢٨ ، ص ٩٥ وما بعدها) هذه الحوادث بتفصيل . ورواها أيضاً — نقلا عن أبى على الأشيرى — صاحب الحلل الموشية ، ص ١٠٩ وما بعدها .

(٢) بياض فى الأصل .

(٣) أضفت هذه الكلمة للسياق .

(٤) هنا شىء ناقص فى معنى : وأرادوا التخلص من جريرتها . ولم يترك الناسخ بياضا .

[...] به [...] سفر فارغة ، فذكرت ذلك لأبى يحيى بن صُمادح [... ... ...]/ [١٤٤-ب]
... ...] من خصه بالنعم السابغة [...] فجرى القدر بذلك [... ...][1] فيسير
ولرُتَرْتِير[2] هذا علج لبنى تاشفين من كبار قوادهم وأبطال رجالهم ، كانت له

(١) لم أستطع استكمال النص هنا رغم وفرة المراجع التى تحدثنا عن هذه الحوادث فى تفصيل كبير ، بل لدينا معظم ما قال أبو على الحسن الأشيرى الذى ينقل عنه ابن الأبار هنا ، ولكن أصل هذا الخبر غير موجود ..

انظر : كتاب أخبار المهدى ابن تومرت للبيدق ، ص ٩٤ وما يليها . الحلل الموشية ، ص ١٠٨ وما يليها . والقطعة القيمة المجهولة المؤلف التى نشرها ليڤى پروڤنسال فى مجلة إسپيريس تحت عنوان :

Notes d'histoire Almohade, Hespéris, tome X. 1930, p. 49 sqq.

أما ابن الأشيرى الذى نقل عنه ابن الأبار كثيراً هنا فهو « حسن بن عبد الله بن حسن الكاتب ، يعرف بابن الأشيرى ، ويكنى أبا على ، من أهل تلمسان . نشأ بها ، وأخذ عن الأستاذ أبى على بن الخراز ، وأخذ بالمرية عن أبى الحجاج بن يَسَعُون سنة ٥٤٠ ، وكان من أهل العلم بالقراءات واللغة والغريب ، يغلب عليه الأدب ، وكان ناثراً ناظما ، وله مجموع فى غريب الموطأ وقفت عليه بخطه ، ومختصر فى التاريخ سماه بنظم اللآلى » (التكملة رقم ٦٦ ج ١ ص ٢٦) . وقدتوفى الأشيرى سنة ٥٦٩/١١٧٣ — ١١٧٤ . وكان أول الأمر كاتباً لتاشفين بن على بن تاشفين ، ثم أصبح من كتاب الموحدين . انظر « نظم الجمان » لابن القطان بتحقيق الدكتور محمود على مكى (تطوان ، ١٩٦٤) ص ١٧٦ تعليق ٣ .

(٢) الربرتير — ويكتبه البيدق دائماً الأبرتير — قائد قطلونى مشهور فى أخبار المرابطين أيام على بن يوسف وابنه تاشفين اسمه Reverter ، وأصله من فرسان النبلاء فى برشلونة ، أسره أمير البحر المرابطى على بن ميمون وسيق إلى مراكش ، حيث دخل فى خدمة المرابطين وجعله على بن يوسف « قائداً للروم » أى رئيس فرقة الجند النصرانى المرتزق التى كانت تعمل فى صفوف المرابطين . وقد أبلى الربرتير بلاء حسناً فى الدفاع عن دولة المرابطين أمام الموحدين ، وقتل عند تلمسان قبل مقتل تاشفين بن على بن يوسف بقليل سنة ٥٣٩/١١٤٤ — ١١٤٥ . وقد وصف البيدق ظروف موته بتدقيق كبير ، وقال إنه مات معه نفر آخر من الجند الرومى ذكر منهم شُوِين (Juán) وغَشْتُون (Gaston) وبطريان (Adriano أو Pedroyano). وكان للربرتير ابن أسلم وتسمى بعلى ، ويعرف بعلى بن الربرتير ، كان من بواسل جنود الموحدين ، وهو الذى انتصر على بنى غانية فى جزيرة ميورقة ، وكانوا قد اعتصموا بها أيام أبى يوسف يعقوب المنصور الموحدى . وقد قتل فى الحروب التى وقعت بعد ذلك بين بنى غانية والموحدين فى إفريقية سنة ٥٨٣/١١٨٧ . انظر « نظم الجمان » ، ص ٩٦ تعليق ١ .

فى الحروب مقاوم شهيرة . وكان مقتل تاشفين ليلة سبع وعشرين من شهر رمضان من سنة تسع وثلاثين المذكورة . وجّه ابنَه إبراهيم[1] ولىّ عهده إلى مراكش خوفاً عليها فى شعبان ، وسار كاتباً معه أبو جعفر بن عطية[2] ، واستقر هو

= انظر الترجمة الفرنسية لأخبار المهدى ابن تومرت للبيدق ، ص ١٣٩ ، هامش ١ ، وأبحاث دوزى : ٢/٤٣٧ — ٤٤٢ ، وكتاب :

FRANCISCO CODERA, *Decadencia y desaparición de los Almorávides en Espana*. Zaragoza, 1899, p. 180 sqq.

وسنشير إلى هذا الكتاب فيما يلى باسم : اضمحلال المرابطين لكوديرا .

(١) أبو إسحاق إبراهيم بن تاشفين بن على بن يوسف بن تاشفين ، كان آخر أمراء المرابطين ، ولد سنة ٥٢٥ فى الأندلس ، وفيها نشأ . ولاه أبوه عهده يوم تولى هو ، ثم أرسله إلى قرطبة « برسم القراءة فيها » أى ليتعلم ، وفى أثناء الحرب مع الموحدين عند تلمسان استدعاه أبوه وجدد له العهد ، ثم أرسله إلى مراكش ليقيم فيها ويشترك فى الدفاع عنها ، وكانت سنه إذ ذاك ١٣ سنة . وبعد أن استولى عبد المؤمن بن على على الجناح الشرقى من دولة المرابطين ، وقتل تاشفين بن على بن يوسف أصبح إبراهيم بن تاشفين أميراً للمسلمين أواخر سنة ٥٣٩ ، ثم كر عبد المؤمن فاستولى على فاس ثم سبتة ثم سلا ، وتقدم لحصار مراكش فسقطت فى يده بعد حصار وقتال عنيفين ، ووقع فى يده إبراهيم بن تاشفين ، فأراد العفو عنه لصغر سنه ، ولكن أشياخ الموحدين « عزموا عليه فى قتله ، فضربوا رقبته رحمه الله تعالى ، وأبيد أمر اللثام » ، وكان ذلك حوالى منتصف شوال سنة ٥٤١ .

انظر القطعة المجهولة المؤلف التى نشرها ليڤى بروڤنسال فى مجلة إسپيريس (وقد أشرنا إليها فى التعليق قبل السابق) ، ص ٦٠ — ٦٩ . أخبار المهدى ابن تومرت ، ص ١٠٣ — ١٠٤ .. الحلل الموشية ، ص ١١١ وما يليها.

(٢) أبو جعفر أحمد بن جعفر بن عطية القضاعى المراكشى ، كان من كبار الكتاب والأدباء أيام المرابطين ، وكان أخوه أبو عقيل بن عطية أديباً كاتبا مثله ، وأصلهما القديم من قرية بناحية طرطوشة بالأندلس . وقد ولد أبو جعفر أحمد بن عطية فى مراكش ، وعندما زالت دولة المرابطين اختفى حتى أمن ، ثم أظهر نفسه وعفا عنه عبد المؤمن بن على واستكتبه ، ثم جرت عليه بعد ذلك محنة انتهت بقتله وأخيه أبى عقيل فى أواخر ٥٥٣.

انظر : المعجب لعبد الواحد المراكشى ، ص ١٩٨ — ٢٠٠ . إعتاب الكتاب لابن الأبار ، بتحقيق الدكتور صالح الأشتر (دمشق ١٩٦١) ص ٢٢٥ — ٢٢٩ . الإحاطة لابن الخطيب : =

بوَهْران ، ولجأ إلى حصنٍ شرع فى بنيانه فى تلك الأيام . فقصده الموحدون وأضرموا النار حوله ، فلما رأى ذلك ودع أصحابه ليلا ، واقتحم — والنار محتدمة — باب الحصن ، فوُجد من الغد ميتاً لا أثر فيه لضربة ولا طعنة . ويقال إن فرسه صرعه ، وسيق فصُلب .

وقال غير ابن الأثيرى : كان مَهلك تاشفين بخارج مدينة وَهْران ؛ تردى به فرسُه في البحر فهلك وتكسَّرا جميعاً . وكان قصَد الرِّباط بخارج وَهْران على البحر ، فى قطعة من أصحابه ، ليقوم به ليلة سبع وعشرين من رمضان المذكور ، فنُبِّه عليه الموحدون أعزهم الله ، فطرقوهم ليلا فى جمع وافر وأحدقوا بالرِّباط ، وفيهم أمير الأمراء ، والمخصوص بنصر الألوية ونُجْح الآراء ، الشيخ المعظم المجاهد المقدس المرحوم أبو حفص عمر بن يحيى — رضوان الله عليه — وارث الممالك ومورثها ، ومطفئ نار الفتن والتجسيم مُؤَبِّدُها[1] ، الذى كانت الفتوح تنثال عليه ، وتتلاقى لديه ، وكتائب النصر والرعب تسير خلفه و بين يديه . فلما علم تاشفين بهم ، ركب وخرج هو وأصحابه مستميتين ، فوقع تاشفين على من يليه

= ١/٢٧١ — ٢٧٩ . و«مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية » ، حققها ونشرها ليڤى پروڤنسال (رباط الفتح ١٩٤١) ص د — ه من المقدمة .

(١) يلاحظ انتهاز ابن الأبار لأى فرصة للإشادة بأبى حفص عمر بن يحيى جد الحفصيين (انظر أيضاً « إعتاب الكتاب » ، ص ٢٢٦) ، غير عالم أن أبا زكريا حفيده سيكون قاتله .

وأبو حفص عمر كان من أوائل أنصار محمد بن تومرت ، وهو من قبيلة هنتاتة ، ويذهب عبد الواحد المراكشى إلى أن اسمه الأول كان فَصْكة ابن أمْزال ، وأن ابن تومرت سماه أبا حفص عمر ، وكان يعرف بعد ذلك باسم عمر إينتى (أى الهنتاتى) . أما ابن خلدون فيقول إنه عمر بن يحيى بن محمد بن وانودين بن على ، وعرف باسم عمر إنتى ، وأنه من قبيلة فَصْكات ، وفصكات حفيد وانودين .

انظر تعليق ليڤى پروڤنسال على الترجمة الفرنسية لأخبار المهدى ابن تومرت للبيدق ، ص ٥٠ تعليق ٤ .

من محاربيه ، وظن الأرض متصلة فهوى به فرسه ، وتمزق بأسفل المَهْوى وانهزم عسكرُه . وذلك بعد مكثه فى الحرب خمسة أعوام إلا أشهراً ثلاثة ، ما آوى إلى بلد ، ولا عرّج على أهل ولا ولد ؛ ومن يحاربُ أمرَ الله محروب(١) .

واتصل مقتلُه بابن أخيه يحيى بن أبى بكر بن على بن يوسف — وهو المعروف بابن الصَّحراوية — وكان بتلمسان ، فخرج منها فى أصحابه وأسلمها .

[١٤٥-١] وخرج أبو يحيى بن صُمَادِح / وابن الأشيرى مهاجرين(٢) ، فقُبِلا .

ولأبى يحيى منهما قصائد مطولات فى مدح الأمر العالى(٣) . وفى هذا الخبر أن ابن الصحراوية كان بتلمسان ؛ وقد تقدم عن ابن الأشيرى أن أبا بكر بن مزدَلى كان والياً عليها فى هذه السنة المذكورة ، فلعله وَلىَ بعدَه ، أو كان مدداً له فى تلك المدة .

---

(١) هذه العبارة غريبة من ابن الأبار ، وهى تضمين لشطر من بيت شعر .

(٢) المهاجر — فى المصطلح الذى وضعه محمد بن تومرت لطبقات الموحدين — هو من يترك بلدَه وأهله وينضم إلى الموحدين أثناء قتالهم للمرابطين . وطبقات الموحدين — بحسب ما أورده أبو بكر الصنهاجى المعروف بالبيدق (ص ٣٢ وما بعدها) — هى : أهل الجماعة ، أهل خمسين ، المضافون إلى أهل خمسين فى التمييز ، المهاجرون ، المهاجرون من العبيد ، القبائل ، عامة عبيد المخزن ، المحتسبون ، الغزاة ، الحفاظ ، أهل الحرب .

وقال ابن الأبار بعد ذلك : فقُبلوا ، أى أن الموحدين قبلوا هجرتهم إليهم . وكان يحدث كثيراً أن ترفض هجرة رجل أوقبيلة ، فيقتل أوتسترق القبيلة كلها .

(٣) الأمر العالى يراد به الدعوة الموحدية .

١٤٢ ــ أحمد بن الحسين بن قَسِىّ ، أبو القاسم

أول الثائرين بالأندلس عند اختلال دولة الملثمين ، وهو رومى الأصل من بادية شِلْب . نشأ مشتغلا بالأعمال المخْزَنِية[1] ، ثم تزهد ــ بزعمه ــ وباع ماله وتصدق بثمنه ، وساح فى البلاد . ولقى أبا العباس بن العريف[2] بالمرية ، قبل إشخاصه إلى مراكش ، ثم انصرف إلى قريته . وأقبل على قراءة كتب أبى حامد الغزالى فى الظاهر ، وهو يستجلب أهلَ هذا الشأن محرضاً على الفتنة وداعياً إلى الثورة فى الباطن . ثم ادعى الهداية مَخْرقةً وتمويهاً على العــــامة ، وتسمَّى بـ « الإمام » . وطُلب فاستخفى ، وقُبض على طائفة من أصحابه فأزعِجوا إلى إشبيلية .

---

(١) ابن الأبار يستخدم هنا المصطلح المغربى ، والأعمال المخزنية هى الحكومية ، ولم يعرف هذا الاستعمال فى المصطلح الأندلسى .

(٢) أبو العباس أحمد بن محمد بن موسى بن عطاء الله بن العريف الصنهاجى ، أصل أبيه محمد من طنجة « وإنما سمى بالعريف لأنه كان صاحب حرس الليل ، وعريف القوم القيم بأمره » . ثم انتقل إلى المرية ، وهناك ولد ابنه أحمد ، وأراد له أن يتعلم الحياكة ، ولكن الصبى اتجه إلى الدراسة ونبغ فى علوم الفقه والأدب ، وكانت المرية مركز الصوفية فى الأندلس إذ ذاك ، فمال إلى التصوف وطريق التزهد ، واجتمعت حوله طائفة كبيرة من المريدين . وكما هى العادة ، نشأ الخلاف بين هذه الطائفة من الصوفية وبين الفقهاء ، وكان لهم السلطان الأعلى إذ ذاك أيام على ابن يوسف بن تاشفين . وتزعم مناهضة الصوفية القاضى ابن الأسود ، واستطاع أن يثير مخاوف الدولة من جهة ابن العريف ، فاستقدمه على بن يوسف مع صاحبيه أبى بكر محمد بن الحسين الميورقى وأبى الحكم بن بَرّاجان . وقد لقى ابن العريف كل إكرام من على بن يوسف وأطلق سراحه ، ولكنه مات بعد ذلك بمراكش .

انظر الدراسة التى قدم بها آسين بلاثيوس لتحقيقه لكتاب محاسن المجالس لابن العريف (باريس ١٩٣٣) .

ولما دخلت سنة تسع وثلاثين وخمسمائة ، أشار من موضع استخفائه على أصحابه « المريدين » أن يسيروا مع محمد بن يحيى الشَّلْطِيشى — المعروف بابن القابلة ، وكان يسميه بالمصطفى ، لاختصاصه الكلى بكتابته ، واطلاعه على أموره ، ثم قتله بعد ذلك — وأمرهم أن يغدروا قلعة مِيرْتُلَة[1] — وهى إحدى القلاع المنيعة بغرب الأندلس — فى وقتٍ رسمـــه لهم من هذه السنة القارضة مُلكَ اللمتونيين بمقتل تاشفين أميرِهم فى رمضان منها . فكمنوا بالرَّبَض — وهم نحو من سبعين رجلا — وتغلبوا عليها سَحَرَ ليلة الخميس الثانى عشر من صفر منها ، بعد أن قتلوا بوّاب القلعة . وأعلنوا بدعوة ابن قَسِىّ ، وأقاموا على ذلك إلى أن وصلهم فى غرة شهر ربيع الأول فى جمع وافر من المريدين شعارهم التهليـــل والتكبير[2] ، فصمد إلى قصبتها واحتل بقصرها ، وشرع فى مخاطبة أعيان البلاد [١٤٥–ب] مخَبِّياً / وللفتنة [محزباً][3] ، فاستجاب له كثير منهم ، وأولهم أهل يابُرة ،

---

(١) مِيرْتُلَة – وتكتب أيضاً مارتُلَة ومَرْتُولة – فى التقسيم الإدارى الأندلسى كانت من مدائن كورة باجة Beja فى البرتغال الحالية ، وكانت هذه الكورة تلاصق كورة قرطبة من الغرب وتقع جنوب كورة ماردة . ويصف ياقوت قصبتها بأنها أمنع حصون إقليم الجوف ، أى غرب الأندلس . واسم ميرتلة فى القديم Myrtilis ، وتقع على نهر وادى آنه ، على ٤٥ كيلومتراً من مصبه . وقد كانت مدار صراع طويل بين الموحدين والنصارى ، حتى سقطت فى أواخر العصر الموحدى .

انظر : وصف الأندلس للرازى ، ص ٣٧ . ياقوت : ٨ / ٢٢٤ . الإدريسى ، صفة الأندلس والمغرب ، ص ١٧٥ و١٧٩ . وقد اختصها ابن عبد المنعم الحميرى بمادتين : رقم ١٦٥ ص ١٢٥ (مارتلة) ورقم ١٨٣ ص ١٩١ (ميرتلة) .

(٢) انظر عن ثورة ابن قسى فى ميرتلة ، والثورة على المرابطين فى الأندلس عامة مقالنا « نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين إلى الموحدين ، أى من ٥٢٠ إلى ٥٤٠/١١٢٦–١١٤٥ » صحيفة معهد الدراسات الإسلامية فى مدريد ، مجلد ٣ سنة ١٩٥٥ ص ٩٧ وما بعدها .

(٣) بياض فى الأصل ، وقد اخترت هذه الكلمة على وزن « مخبِّياً » السابقةلها ، ولاتخرج الكلمة الناقصة عن هذا المعنى .

ثم أهل شِلْب . واتسع [على المرابطين][1] خرق لم يَرْقَعُوه ، وهجم عليهم حادث طالما توقعوه .

وآلت الحال بابن قَسِىّ إلى أن خُلع بمِيرْتُلَة ، ثم أعيد ، ومنها هاجر إلى الموحدين أعزهم الله ، فقدم عليهم بَسَلاً متبرئاً من دعاويه ، وتائباً مما أسلفه [من مساويه][2] فى ربيع الآخر سنة أربعين . ثم انصرف فى المحرم سنة إحدى وأربعين صحبـــة الجيش الذى افتتح جزيرة طَريف ثم الجزيرة الخضراء[3] .

---

(١) بياض فى الأصل .

(٢) بياض فى الأصل .

(٣) فى التقسيم الأندلسى الإدارى كانت الجزيرة الخضراء كورة صغيرة تشتمل على مدن كثيرة ، منها أسطبونة **Estepona** وجبل طارق (جبل الفتح) وجزيرة طريف (انظر صفة الأندلس للرازى ، ص ٩٧) وقاعدة الكورة هى مدينة الجزيرة الخضراء ، وتسمى أيضاً الخضراء وجزيرة أم حكيم ، نسبة إلى جارية لطارق بن زياد خلفها هناك قبل صدوره لفتح الأندلس . وقد اختصها ابن عبد المنعم الحميرى بمادة وافية تعتبر أوفى ما لدينا ، فوصفها ومنطقتها فى العصر الإسلامى أحسن وصف وأدقه (رقم ٧٢ ص ٧٣ – ٧٥) . وقد سقطت الجزيرة الخضراء نهائياً فى يدألفونسو الحادى عشر سنة ٧٤٣/١٣٤٢ بعد موقعة طريف المسماة موقعة نهر طريف – وبالإسبانية **El Rio Salado** – وهى اليوم مركز إدارى فى مديرية قادس ويكتب اسمها **Algeciras** (الجزيرة) وهى الطرف الجنوبى لشبه الجزيرة مواجهة لسبتة ، وعلى لسان فى البحر حذاءها تقع جبل طارق .

أما جزيرة طريف فليست جزيرة على الحقيقة ، وإنما هى رأس بارز فى الطرف الأقصى الجنوبى لشبه الجزيرة جنوب غربى الجزيرة الخضراء بقليل ، وعليه يقوم بلد صغير يسمى اليوم **Tarifa** ، والاسم نسبة إلى طريف بن زرعة الذى أرسله طارق بن زياد فى بعث استطلاعى ليختبر أحوال شبه الجزيرة قبل عبور الجيوش الإسلامية . وقد سقطت جزيرة طريف فى يد سانشو الرابع ملك قشتالة سنة ١٢٩٢/٦٩٢ وحاول بنو الأحمر استعادتها مراراً بمعاونة المرينيين والبرتغاليين ، وبالفعل استعادوها . وقد وقعت الموقعة النهائية التى أخرجت جزيرة طريف من دار الإسلام فى سبتمبر ١٣٤٠ ، واشترك فيها يوسف بن الأحمر وأبو الحسن المرينى ضد الإسبان والبرتغاليين ، وانتصر فيها الإسبان والبرتغاليون . وهى الآن بلد صغير وميناء لمراكب الصيد ، والبلد يمتاز بجو عربى مغربى خالص .

ولما فُتحت شِلْب تُرك ابن قَسِىّ عليها والياً ، ومنها كان قدومه فى شهر رمضان من السنة مهنئا بفتح إشبيلية ، وكان فتحها يوم الأربعاء الثالث عشر من شعبان .

و بعد عوده إلى شِلْب ظهر منه غيرُ ما فورق عليه ، إلى أن صرّح بالخلاف ، وداخل الطاغية ابنَ الرّيق صاحب قلنبرية[1] فى إعانته و إمداده ، فأظهر إجابته إلى مراده ، و بعث إليه بفرسٍ وسلاح ، فأنكر ذلك أهل شِلْب ، وفتكوا به فى « قصر الشَّرَاجِب » منها موضع سكناه فى قصة طويلة ، ونصبوا مكانه ابنَ المنذر[2] الأعمى ، معلنين بدعوة الموحدين ، وذلك فى جمادى الأولى من سنة ست وأربعين وخمسمائة . ومن شعر ابن قَسِىّ بين يدى ثورته :

إذا صَفَرُ الأصفار جاء فإنما ... يجىء بأمرٍ لا يُمِرُّ ولا يُحْلِى

وشهرا ربيعٍ فيهما كلُّ آيةٍ ... وعند جمادى ينقضى أمدُ الخَبْلِ

وله :

وما تُدفعُ الأبطالُ بالوعظ عن حِمًى ... ولا الحربُ تُطفَى بالرُّقَى والتمائمِ

ولكنْ ببيضٍ مرهَفاتٍ وذُبَّلٍ ... مواردها ماء الطُّلَى والغلاصمِ

ولا صُلحَ حتى نطعنَ الخيل بالقَنا ... ونضربَ بالبيضِ الرِّقاق الصوارمِ

ونحن أناسٌ قد حمتْنا سيوفُنا ... عن الظلم لما جُرِّمَ بالمظالمِ

---

(١) المراد هنا Alfonso Henrique ملك البرتغال ، وكانت البرتغال إذ ذاك إمارة حديثة الانفصال عن مملكة قشتالة وليون .

(٢) أبو الوليد محمد بن المنذر الذى ثار على المرابطين فى شلب فى نفس الوقت ، وسيتحدث عنه ابن الأبار فيما بعد .

/ وكان أبو عمر أحمد بن عبد الله بن حَرْبُون الشلبى من كتّابه ، وفيه يقول: [١٤٦-١]

اهربْ إلى الله وابرَأْ من أحمدِ بن قَسِىّ
أو فاتخـــذه إماماً واكفر بكل نبىّ

وكتب إليه يمدحه :

لم أرَ جُوداً لمُستَماحٍ علّمنى صـــنعةَ امتداحِ
قد خلق الله راحتيه من طينة البأس والسماح
ألقى على الجود نور بِشرٍ فجاء كالغيث فى الصباح
راش إمامُ الهدى جَناحى وليس فى الحق من جُناح
أريتَنى اليوم كيف أورِى وكنتُ أصلدتُ فى اقتداحى
تبـــارك الله أىُّ جِدٍّ أفرِغَ فى قالَب المزاح

فقال ابن قَسِىّ يجيبه :

جدَدْتَ جِدًّا بلا مزاحِ ورُضْتَ معتادةَ الجِماحِ
حَلَّيْتَه من نتاج فكرٍ حَوْليّه ، ثَقْفَةَ القِداح
دهماء قد لُطِّمتْ بليلٍ وخُوِّضت لجـــةَ الصباح
إن سوبقتْ بالرياح جاءت بلقاء فى مقدم الرياح
أهديتهـــا والزمانُ بادٍ صلاحُه لذوى الصلاح[1]
فكانتِ الزَّهرَ لانتسامٍ وكانتِ الزُّهرَ لالتمـــاح
فأقبلتْ بى على اغتباقٍ ليلا ، ويوماً على اصطباح
وكنت أعتدُّ أنَّ رمحى فى الطعن من أثقف الرماح

---

(١) هذا البيت – كبقية القصيدة – من مخلع البسيط ، وفيه زحاف يسير .

حتى طلعتم لدى عَجَاجٍ كالليل غشّى من النواحى
فمِن لَمُوحٍ من العوالى ومِن لَمُوعٍ من الصِّفاح
[١٤٦ب] /فثَمَ كسّرتُ من صِعادى وثَمَ ألقيتُ بالسلاح
وبعدُ ، يا من أعار خُلقى حُلَّى من أخلاقه السِّماح
فها أنا اليومَ فى بِساطى هزلٍ وجِدٍّ من امتداح
أُعطِى إلى الجِد صَفْح رسْمٍ باقٍ ، وللهزل صفح ماح
فأُعقِبُ المزحَ حالَ جِدٍّ والجِدُّ أولَى من المزاح

١٤٣ — محمد بن عمر بن المنذر ، أبو الوليد

أحد أعيان شِلب ونبهائها ، من بيت قديم فى المولّدين . وكان من أحسن الناس وجهاً ، ولازم التعلم بإشبيلية فى صغره حتى تميز بالمعارف الأدبية والفقهية . ووَلىَ خطة الشورى[1] ببلده ، ثم تزهد وانزوى ، ورابط على ساحل البحر فى

(١) خطة الشورى : كان يقوم بأمر القضاء فى الأندلس هيئتان : الفقهاء المشاوَرون والقضاة . فأما المشاوَرون فكانوا جماعة من كبار الفقهاء والعلماء يختارهم الأمير أو الخليفة ليستشيرهم فى أمر القضاة والأحكام ، ولم يكونوا هيئة بمعنى الكلمة تجتمع معاً فى مجلس خاص كالوزراء . بل كانوا فرادى ، يختار الأمير من يراه صالحاً للشورى ، ثم يبعث إليه بما يريد ليفتى فيه ، وقد يستقدمه إلى القصر . وكان المشاوَرون أعلى من القضاة مرتبة ، بل كانوا فى مراتب الوزراء من حيث المكانة والجاه . وفى بعض العصور تميز بعض المشاوَرين حتى صار كالرئيس لهؤلاء المفتين ، ويسمى لهذا برأس الفتيا أو رأس المشيخة ، وقد يسمى شيخ المرأسين أو شيخ البلد . وكانت المشورة أو الفتيا أعلى المناصب التى يطمح إليها الفقيه ، وإن لم تكن منصباً حكومياً محدد الوظيفة والراتب والسلطان . وكان المشاورون يبدون رأيهم فى القضاة ، فلا يعين كبارهم إلا برأيهم . أما القضاة فهم المعروفون ، وأكبرهم قاضى قرطبة أو قاضى الجماعة ، وكان فى منزلة الفقهاء المشاورين ، وقد يمتاز عليهم إذا أهلته ملكاته لذلك . ونظام القضاء فى الأندلس فى حاجة إلى دراسة شاملة .

رباط الرَّيحانة ، وتصدق بماله . وصاحَب أحمد بن قَسِيّ الدّعى ، وامتُحن من أجله ، ثم خلص من ذلك . واتّبعه عند ثورته ، وقام فى بلده بدعوته ، مستعينا على ذلك بأبى محمد سِيدرَاى بن وزير الثائر ببابُرة قبله ، وكانت بينهما — قيلَ[1] — صحبة وصداقة ثم سار إلى حصن مرجيق[2] . من أعمال شِلْب ، وقد ضبطه الملثمون فتغلب عليهم وقتلهم .

وسرى خبرهم إلى من كان منهم بباجة ، فطلبوا من أهلها تأمينَهم ، على أن يلحقوا بإشبيلية . وإثر خروجهم منها ، دخلها ابنُ المنذر فى العسكر الذى أمده به ابنُ وزير — وعليه أخوه أحمد وخالُه عبد الله بن على بن الصُّمَيْل — ثم قدم هو وأبو محمد بن وزير على ابن قَسِيّ فى أول شهر ربيع الآخر من سنة تسع وثلاثين وخمسمائة ، وقد استقر بقلعة مِيرْتُلَة قبل ذلك بشهر ، فسلما عليه بالإمارة ، وأذعنا له بالطاعة ، فأقر ابنَ وزير على باجة وما والاها أميراً ، وابنَ المنذر على شِلْب وما والاها كذلك .

ثم انصرف ابنُ وزير ، وتَلَوّم ابنُ المنذر بمِيرْتُلَة أياماً ، وقد أبدى منافسةَ ابنِ / وزيرٍ وحسادتَه . ثم لحق ببلده ، حتى إذا اجتمع عسكر أُكْشُونُبَةَ[3] [١٤٧-١]

---

(١) قرأها دوزى (ص ٢٠٢) : قَبْلُ .

(٢) حصن مرجيق : لم أجد موضعاً بهذا الاسم بالضبط ، وإنما توجد فى مديرية الغرب El Algarve فى جنوب البرتغال مدينة تسمى Monchique باسم جبال مُنْشِيق Sierra de Monchique . ومدينة منشيق تابعة لمركز فارو Faro الإدارى وهى مشهورة بمياهها الكبريتية .

(٣) أُكْشُونُبَة : فى التقسيم الإدارى الأندلسى كانت أكشونبة Ocsonoba كورة كبيرة جنوبى كورة باجة وغربى كورة إشبيلية ، وهى تقابل الآن مديرية الغرب El Algarve فى البرتغال الحالية . وكانت تضم حصوناً كثيرة ومدناً أكبرها شلب . وكانت كورة بحرية اشتهرت بدور صناعة لبناء السفن أكبرها فى قاعدتها شلب . وقد ذكر ابن عبد المنعم الحميرى أن أهلها عرب من اليمن وغيرها ، وأن أهل بواديها — أى ريفها — فى غابة الكرم (الروض المطار، رقم ٩٦ ص ١٠٦-١٠٧) . وياقوت (معجم البلدان) يكتبها أُكْشُونِيَة بالياء ، وهو خطأ =

إلى مَن عنده من الشِّنْبيين وأصحابه « المُريدين »[1] ، قدم على ابن قَسِيّ ثانيةً ، يُظهر الجد فى نصرته والعمل على نشر دعوته ، فسُرَّ بمقدمه وجَدد له عهده على ما بيده ، وسمّاه « العزيز بالله » . ثم عبر وادى آنة متقدماً فى جمعه إلى وَلْبَـــة فدخلها ، وامتد منها إلى لَبلَة فقاتلها حتى ملَـكها ، بمعاونة يوسف بن أحمد البطروجي أحد مَرَدة الثوار من هؤلاء المريدين ، وأنزل من تمنع فى بروجها من الملثمين .

وطمح به الاغترارُ إلى إشبيلية — وقد نُمِي إليـــه أنها حينئذ دون أمير يضبطها — فتحرك من لَبْلَة نحوها ، ودخل حصن القصر وطَلْيَاطَلة من أعمال شَرَفها[2] — وقد كثف جمعه وكثر حشده — فانتهى إلى الحصن الزاهر ودخله .

— ويظن أن أكشونبة كان الاسم القديم للموضع الذى قامت فيه بعد ذلك شنتمرية الغرب وهى المسماة اليوم فارو **Faro** . وذهب هوبنر **Hübner** إلى أن موضعها تقوم فيه اليوم بلدة **Estoy** على عشرة كيلومترات شمالى فارو التى كانت تسمى **Milreu** (انظر دائرة المعارف الإسلامية : ٣/١٠٣٧ ب . والترجمة الفرنسية للروض المعطار ص ١٢٩ ، وتعليق رقم ٥٠ . وصفة الأندلس للرازى ص ٩١ . والإدريسى ، فهرس الأعلام .

(١) « المريدون » : يطلق فى هذا العصر فى الأندلس على أتباع شيوخ الجماعات الصوفية المرابطة التى كثرت إذ ذاك ، ومصدر الحركة كلها المرية وشيخها الكبير أبو العباس بن العريف . وباستثناء ابن العريف وكبار أتباعه الذين ذكرناهم فى التعليق الخاص به ، تحولت بقية الجماعات الصوفية إلى جماعات من المحاربين الذين يطلبون الملك ، ومنهم ابن قسى وابن المنذر وابن حمدين . ولم يتجه أحد منهم إلى الجهاد مع اتساع ميدانه إذ ذاك ، بل صرفوا همهم فى محاربة المرابطين ، وقد قضى الموحدون على هذه الجماعات .

(٢) شرف إشبيلية يراد بها المرتفعات الواقعة إلى غربها ، وتسمى اليوم جبال أنديفالو **Sierra de Andévalo** وهى جزء من جبال سيرا مورينا **Sierra Morena** التى كان العرب يسمونها جبال المعدن . وتمتد منطقة الشرف حتى تصل إلى لبلة وباجة ، وقد قال عنها ابن عبد المنعم الحميرى فى سياق كلامه عن الزيت الذى اشتهرت به إشبيلية (نقلا عن الإدريسى) : « فيجتمع هذا الزيت من الشرف ، وهو مسافة أربعين ميلا كلها فى ظل شجر الزيتون والتين ، أوله مدينة إشبيلية وآخره مدينة لبلة ، وسعته اثنا عشر ميلا ، وفيه ثمانية آلاف قرية عامرة —

و بظاهر اطريانة[١] انكشف أصحابه أمام طائفة من جيش أبى زكرياء يحيى بن على بن غانية[٢] .

= بالحمامات والديار الحسنة ، وبين الشرف وإشبيلية ثلاثة أميال » . ويسمى الشرف الآن Ajarafe انظر : الإدريسى ، صفة المغرب والأندلس ، ص ١٧٨ — الروض المعطار ، رقم ١٤ ص ١٩ ، والترجمة الفرنسية ص ٢٥ .

(١) كذا فى الأصل : اطريانه ، والأشهر بدون ألف : طريانة ، وهى Triana ضاحية لإشبيلية موجودة إلى اليوم على الضفة الغربية للوادى الكبير . وقد ذكر أبو الفدا فى « تقويم البلدان » (ص ١٦٧) أنه كان يصلها بإشبيلية قنطرة من القوارب ، أما الآن فهناك قنطرة كبيرة تحمل نفس الاسم . ويفهم من كلام ابن عبد المنعم الحميرى فى الروض المعطار (رقم ١١٧ ص. ١٢٧) أن طريانة كانت حى الصناع وأصحاب الحرف . وأصل اسمها Irajana مسماة باسم منشئها القيصر تراچان .

(٢) رأس أسرة بنى غانية الثائرين على الموحدين بعد زوال أمر المرابطين فى الأندلس ، وهو من قبيلة مسوفة ثانية القبائل الصنهاجية الكبرى التى قام عليها مُلك المرابطين بعد لمتونة . ولد يحيى بن غانية فى قرطبة وتلقى العلم فيها ، وكان فارساً نجداً ظهرت بسالته من أول الأمر حتى ليقول ابن الخطيب أنه طلق امرأته — وكانت فائقة الجمال — حتى لا تشغله عن الحرب ، وقد جعله على ابن يوسف بن تاشفين عاملا على إستجة ، فأبلى بلاءً حسناً فى مدافعة ألفونسو المحارب ملك أرغون عندما أغار على الأندلس وأوغل فيه حتى الجنوب .

وكان والد يحيى — وهو على بن يوسف المسوفى — من كبار رجال يوسف بن تاشفين ، وهو الذى زوجه من قريبة له تسمى غانية ؛ وأظن أن الأصح أن يقال غانيّة ، نسبة إلى غانة . وقد أنجب منها على بن يوسف ابنين : محمداً ويحيى هذا ، عرفا بابنى غانية كما يقال أبو بكر بن الصحراوية نسبة إلى أمه. وفى أيام على بن يوسف أرسل محمد بن غانية إلى ميورقة ليطفىء ثورة هناك ، وهناك أقام إلى أن قضى الموحدون على سلطان المرابطين فى المغرب فاعتصم فيها ورفض البيعة للموحدين . أما أخوه يحيى فقد تولى — كما رأينا — إستجة وأبلى بلاء عظيماً ، ثم أقيم عاملا على مرسية وبلنسية حيث استطاع أن يهزم ألفونسو المحارب سنة ٥٢٨/١١٣٣ — ١١٣٤ ، ثم تصدى لحرب الثائر ابن قسى كما يقول ابن الأبار وهزمه فى إشبيلية وحاصره فى لبلة . وعندما اشتد ضغط النصارى على قرطبة جاهدهم ما استطاع حتى ردهم عنها ، ثم اتصل بالقائد الموحدى بَرّاز بن محمد المسوفى الذى ولاه عبد المؤمن بن على على إشبيلية ودخل فى طاعة الموحدين ، فولوه قرطبة وقرمونة فى مقابل تسليمه جيان . ثم اختلف مع الموحدين ودافعهم عن قرطبة مستعيناً بألفونسو السابع ، وبمعاونته استولى على الجزيرة الخضراء ، ثم تحالف مع الثائر ابن عِياض على =

وكان لما بلغه أمرُ لَبْلَة وبلادِ الغرب قد بادر من قرطبة بالخروج لغزو أهلها ، فوافى إشبيليةَ وابنُ المنذر يعيث فى نواحيها ، فعيّن من أصحابه لاتّباعهم وعبور الوادى نحوهم مَن هزمهم وطردهم ، وقُتل عدد وافر منهم . فأسْرى ابنُ المنذر ليلةً إلى لَبْلَة ، وأقام بها يومين يحصنها ، ثم لحق بِشِلْب وترك يوسف البَطروجى بها . فنازله ابنُ غانية فى جيوشه ثلاثةَ أشهر ، وذلك فى كَلَب الشتاء وحدّته ، إلى أن بلغه قيامُ ابن حَمْدِين[1] بقرطبة ، فانصرف عنها إلى إشبيلية ، وقد تغير على الناس واشتد حذرُه منهم ، فجرت له معهم ولهم معه قصص طويلة .

ولما سمع ابنُ قَسِىّ بقيام ابن حَمْدِين ، أمر ابنَ المنذر هذا أن يعسكر ويسير هو ومحمد بن يحيى — المعروف بابن القابلة ، كاتب ابن قَسِىّ وصاحبه — إلى قرطبة طمعاً فى دخولها ، وخاطب معهما أهلَها يرغبهم فى أمره ، ويحرضهم على القيام بدعوته ؛ وكان بالرَّبَض الشرقى مَن له حِرص عليه ورغبة فيه ، كأبى الحسن ابن مؤمن وغيره . فتحرك ابنُ المنذر وصاحبُه بعسكر شلب ولَبْلَة / فوجدوا [١٤٧-ب] أحمد بن عبد الملك بن هود سيف الدولة ، قد جاء به أهل قرطبـــة من بعض ثغورها المجاورة لها وملّكوه عليهم ، وطردوا ابنَ حَمْدِين فانحاز إلى الحصن

= الموحدين وتمكن من ضم سبتة إلى بلاده وأقام عليها يحيى بن أبى بكر الصحراوى . وقد تجرد عبد المؤمن بن على للقضاء عليه ، فتخلى عن قرطبة ولجأ إلى غرناطة فى ١٠ شعبان سنة ٥٤٣/ ٢٤ ديسمبر ١١٤٨ . أما أولاده فقد لجأوا إلى عمهم محمد بن غانية المسوفى صاحب الجزائر الشرقية ، واشتركوا معه ومع أبنائه فى حرب الموحدين . واستمر بنوغانية شوكة فى جنب الدولة الموحدية ، وعبروا البحر واستولوا على بجاية فى المغرب ، ولم ينته أمرهم إلا فى أيام محمد الناصر رابع خلفاء الموحدين . وقد ألف فى تاريخهم ألفريد بل كتاباً وافياً :

ALFRED BEL, *Les Banou Ghanya*, Paris 1903.

(١) حمدين بن محمد بن على بن محمد بن عبد العزيز بن حمدين التغلبى ، وسيترجم له ابن الأبار فى الحلة . انظر التكملة ، رقم ١١٩ ص ٣٨ . وبغية الملتمس للضبى ، رقم ٣٨٥ .

المعروف بفُرنَجولُش[1] ، ومنها أعادتْه العامةُ ، لما قامت على ابنِ هود وقتلت وزيره ابنَ شَمّاخ ، وفر هو بعد اثنى عشر يوماً من دخولها ولم يعد إليها بعدُ .

وانصرف أصحابُ ابن قَسِيّ خائبين ، وبعد وصولهم إليه استدعى أبا محمد سيدراى بن وزير للاجتماع به ، فتوقف وارتاب ، لما كان من قبضه عليه بقصبة مِيرْتُلَة وخلْعه ثم صرْفه إلى حاله أثناء مغيب ابن المنذر فى قصد إشبيلية .

ولما يئس منه ابنُ قَسِيّ أمر ابنَ المنذر بمحاربته ، فهزمه ابنُ وزير وقبض عليه واعتقله بمدينة باجة . ثم تذكر يوماً خالَه وقد صارت إليـــه بَطَلْيَوْس وأعمالُها ، إلى ما كان بيده من بلاد الغرب ، فأمر خالَه عبد الله بن الصُّمَيْل — المذكور قبلُ — بأن يسير إلى باجة ويستخرج ابنَ المنذر من سجنه ويسمل عينيه ، ففعل ذلك . وأقام فى معتقله إلى أن فتح الموحدون ، أعزهم الله ، باجة وسائر بلاد الغرب ، فأنقذه الله على أيديهم وعاد إلى شِلْب .

وكان يجالس ابنَ قَسِيّ فى ولايته عليها من قِبل الموحدين إلى أن خَلع دعوتهم وانسلخ من طاعتهم وداخَل النصارى ، فاستراح ابنُ المنذر إلى وجوه بلده بما كان عنده من باطن أموره ، ودبر معهم — وهو ذاهب البصر — قتْله ، فتم ذلك كما تقدم ذكره . وخلَفه فى ولايته قائماً بالدعوة المهدية خلّدها الله ، وذلك فى جمادى الأولى سنة ست وأربعين فخيف منه أن يثور ثالثةً ، فنُقل إلى إشبيلية ، بعد أن خلَعه ابنُ وزير وملَك شِلْب دونَه فى خبر ذكره ابنُ صاحب

---

(١) فرنجولش Fernechuelos بلدة صغيرة فى مديرية قرطبة حاليا ، تقوم على تل مرتفع ، وقد ذكرها ابن عبد المنعم الحميرى : رقم ١٢٨ ص ١٤٣ والترجمة الفرنسية ص ١٧١ والتعليقات . وانظر :

Cf : MADOZ, *op. cit.* IX, p. 291 - 292.

الصلاة فى كتاب « ثورة المريدين » من تأليفه . وبعد ذلك أجاز البحر إلى سَلَا ، فتوفى بها سنة ثمان وخمسمائة .

ومن شعره يخاطب ابنتَه ، وتوفيت بعد خلْعه وسَمْل عينيه :

أواحدتى قد كنتُ أرجوكِ خِلفةً لعينىّ ، أختيك اللتين سبا الدهرُ
رضيتُ بحكمِ الله فيما [أصابنى][1] إذا لم يكن يسرٌ فيا حبذا العُسرُ

[١٤٨-١] /وله ، وبعث به إلى أبى بكر بن المنخَّل[2] ، فى نكبته ، وكان قد استوزره فى ولايته :

يا واحدى مِن ذا الورى بولائه ووحيدَهمْ ـ إن ناظَروا ـ بذكائِه
أما الكلامُ فقد ملَكتَ زمامَهُ نوعاً فنوعاً فانفرِدْ بلوائه
إن شئتَ فانظِمْ دُرَّ لفظٍ رائقٍ يحكى حمامَ الأيكِ حالَ غِنائه
أو شئتَ فانثر من كلامكَ جوهراً تعلو به الأرباحُ عند شرائه
يا طالباً علمَ الكلام تحققاً أبشِرْ فقد أدركتَه بلقائه
إن كنتَ تبغى كشفَ غامضه فقد أنجحتَ ، فانزلْ وارتبطْ بفِنائه
واسمع إذا ألقى إليك معلِّماً والقَنْ ـ هُديتَ الحقَّ ـ من إلقائه
من كان يرتاد الشفاء لنفسه فلديه منه ما يَفى بشفائه
ما إن يناظر حائراً فى دينه إلا اهتدى وشفاه من أدوائه

---

(١) بياض فى الأصل .

(٢) أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنخل المهرى **الشَّلْبى** ، ذكره ابن الأبار فى التكملة وأثنى عليه بأنه كان أحد الأدباء المتقدمين والشعراء المجودين ، وروى شيئاً من شعره ، وقال إن له ديوان شعر ، وأنه توفى فى حدود سنة ٥٦٠ (رقم ٧٣٠ ص ٢١٤) . وانظر أيضاً :

وإذا تَخُطُّ يمينه[1] فى مُهْرَقٍ أهدى لنا الحسنَى بحُسن رُوائه
إيهٍ أبا بكرٍ ، وماذا مِن أخٍ ناديتُ غيرَك لم يجبْ لندائه
عثرت بىَ الدنيا فأصبح مُعرضاً عنى كأنى لم أدِنْ بإخائه
ومنحتُه ودى وصنتُ إخاءه من نائبات الدهر حالَ بلائه
ورعيتُ ظَهر الغيب حَقَّ جواره وحفظتُه من خلفه وورائه
فعدا علىّ ولم أظنَّ ببغيِه وأنا بحالٍ من أمان عـــدائه
لو أننى ممن تسوء ظنونُه ما نالنى ما نال من تِلقائه
ما ساء فِعلى مرةً فيسوء بى ظنٌّ بمن قَدْمَتْ لى بولائه

فأجابه بقصيدة ، منها :

/ يا مُلبِسى الثُّعمى بحسن ثنائه وممَيِّزى[2] نقداً بصدق ولائِهِ [١٤٨-ب]
ألقى علىّ مديحَه فلبِستُهُ بُرداً ، وردَّ علىّ فضلَ ردائه
وأعارنى من خُلْقِهِ وصفاته فسحبتُ ذيلَ الوَشْيِ من صَنْعائه
لَبَّيك من داعٍ تيمم حبُّه قلبى ، فصيَّره إلى سَودائه
إن كان أبناء الزمان تشبهوا بأبيهمُ ، ما أنتَ من أبنائه
فذَرِ الحسودَ لما به فدواؤه فى موته ، وحياتُه من دائه
لله دَرُّكَ من فتًى عبثتْ به أيدى الزمان فأخلفتْ بعَلائه
أفديه من حُرِّ جفاه زمانُه لو كان يسمح دهرُنا بفدائه
قد كان مثلَ السهم ينفذ فى الوغى والنصرُ معقود برأس لوائه

= المغرب لابن سعيد ، ج ١ ص ٣٨٧ وتعليق الدكتور شوقى ضيف .
(١) الأصل : يمناه ، والتصويب للوزن .
(٢) الأصل : وميز لى . وقد صوبها دوزى كما أثبتناها .

Bibliotheca Alexandrina (GOAL)
Digitalization of the Alexandria Library

شهماً إذا دجت الخطوب تبلَّجت لعقولنا الأقمارُ من لألائه
شِيمٌ كأزهار الربيع وراءها هِمم تَحطُّ النجمَ من غُلَوائه
وإذا ترقَّى مِنبراً لمُلمةٍ عطَف القلوبَ على مناهج رائه
كانت لياليه نجومَ زماننا فتناثرت حُمَماً على ظَلْمائه

وله إلى ابن المنخَّل أيضاً :

لئن غضَّ منك الدهرُ يوماً بأزْمةٍ فحسبُك أن تُلفَى وأنت صبورُ
فليس أسًى يبقى وإن جلَّ ، مثلُ ما — على كل حالٍ — لا يدوم سرور
أيوجد فى الدنيا من الناس صاحبٌ إذا أعرضتْ أبقى ؟ لَذاك عسيرُ . .
طلبتَ عزيزاً لا يُنال ، فإن يكنْ فإن أبا بكرٍ بذاك جدير
رضيتُ به حظًّا من الناس كلهمْ فما بعدَه حُرٌّ إليه نشير

فأجابه بقوله :

[١٤٩-١] /تجافَ عن الدنيا وعن رَدِ ظلِّها فإنَّ بُروداً لا يدوم حَرُورُ
فدَيتُك ، لا تأسف لدُنيا تقلَّصتْ وأوحشَ يوماً منبرٌ وسرير
وإن عَرِيَتْ جُرْدُ المَذاكى وذُلِّلَتْ أسودٌ ، فلم يُسمع لهن زئير
وغودرت الرايات تهفو كأنها جوانحُ من ذعرٍ عليك تطير
وكانت ولم تُذعَرْ عليك كأنها إذا رفرفتْ يومَ الهياج نسور
طلبتَ وفاءً ، والوِفاء سجيةٌ ولكنَّها — أمُّ الوفاء — نَزُور
رأيتُك تبغى مثلَ نفْسك فى العلا طِلابٌ لَعَمْرى ما أردتَ عسير
ومن ذا [الذى][1] يسمو سموَّك للعلا ويعفو عن الزلات وهو قدير .

---

(١) أضفت هذه الكلمة لوزن الشعر.

ولابن المنخّل فيه يرثيه من قصيدة :

بأىّ حسامٍ أدفع الخطبَ بعد ما فقدتُ الحسامَ المُنذِرىّ اليَمانيا ؟
ومَن لى بمِثل المنـــذرىّ محمدٍ صديقاً صدوقاً أو خليلاً مصافيا ؟
وقد كنتُ أستدنى البعيدَ برأيهِ فيأتى على حكم الإرادة دانيا

١٤٤ — على بن عمر بن أضحى الهمدانى ، أبو الحسن

هو على بن عمر بن محمد بن مُشرّف بن أحمد بن أضحى بن عبد اللطيف بن غريب — بالغين المعجمة — ابن يزيد بن الشّمِر ، من همدان ، فى ذؤابة شرفها وصميم بيوتاتها . وقد تقدم ذِكر نباهةِ سلفه ، وقيامِ محمد بن أضحى بأمر العرب بعد سعيد بن جُودِىّ السَّعْدِىّ فى خلافة الأمير عبد الله بن محمد ، ولِمَ سُمى والدُ عبد اللطيف « غريباً » حتى غلب عليه — وإنما اسمُه خالد ، وبزيد بن الشّمِر أبوه هو الداخل إلى الأندلس .

وولد أبو الحسن على بن عمر هذا بالمَرِيّة فى شهر ربيع الأول سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة ، ووَلى قضاءها بعد أبى عبد الله محمد بن يحيى بن الفَرّا الزاهد ، ثم صُرف بعبد المنعم بن سَمَجُون[1] ، وأعيد / بعده ثانيةً . [١٤٩-ب]

ولما انقضت دولة الملثمين فى سنة تسع وثلاثين وخمسمائة ، ودعا ابنُ حَمْدِين

---

(١) ترجم له ابن الأبار فى التكملة (رقم ١٨١٦ ص ٦٥٣) ولم يذكر أنه ولى قضاء المرية . وهو عبد المنعم بن مروان بن عبد الملك بن سمجون اللواتى ، من أهل طنجة ، أبو محمد . نشأ بغرناطة وتفقه على نفر من شيوخها ، منهم أبو على بن سُكّرة الغسانى الصدفى . ولى قضاء إشبيلية بعد صرف أبى مروان الباجى عن ولايته الثانية ، ثم نقل إلى قضاء غرناطة ، واستعفى ولم يُعْفَ . توفى فى شعبان سنة ٥٢٤ .

لنفسه بقرطبة ، خاطب أبا الحسن بن أضحى يحضه على اتّباعه — وهو إذ ذاك بغرناطة ، وقاضيها أبو محمد بن سِمَاك — فقام بدعوة ابن حَمْدِين ، وتابَعه أهلُ بلده، وأخرجوا الملثمين من المدينة ، فتحصنوا بالقصبة ونشب القتال بين الطائفتين ، فاتصل ذلك مدة .

وذكر أبو محمد بن صاحب الصلاة أن الذى قام عليه ابنُ أضحى من الملثمين هو على بن أبى بكر — المعروف بابن فَنُّو[1] ، وهى أخت على بن يوسف بن تاشفين . كان أميراً عليها[2] بعد أبى زكرياء بن غانية ؛ قال : واستصرخ — يعنى ابن أضحى — بابن حَمْدِين بقرطبة ، وبابن جُزَىّ قاضى جيّان ، فوجّه إليه ابنُ حَمْدِين ابنَ أخيه علىّ بنَ أبى القاسم أحمد — المعروف بابن أم العِمَاد — فى عسكر قرطبة ، وعلم بذلك سيفُ الدولة أحمد بن هود[3] ، فعجّل ودخل مدينة غرناطة ، وانصرف ابنُ أم العِماد خائبا .

---

(١) فَنُّو ابنة يوسف بن تاشفين ، وقد تزوجت ابن عمها أبا بكر يحيى بن أبى يحيى ابن تاشفين وأنجبت منه علياً المذكور هنا .

ويعرف من بنات يوسف بن تاشفين وأبنائه عدد نوردهم فى الجدول التالى :

يوسف بن تاشفين

أبو بكر سير ، أكبر أولاده .	أبو الطاهر تميم على الذى الملقب بالمعز	يحيى خلف أباه	أبو محمد إبراهيم	أبو عبد الله محمد بن عائشة	رقية أو كوتة	كوت أم طلحة	تميمة	فتو	
توفى ٤٧٨ / ١٠٨٦		يوسف							

ويُظن أن غانيّة التى تزوجت على بن يوسف المسوفى ، والد يحيى بن غانية الذى ذكرناه ، كانت ابنة يوسف بن تاشفين ، ولكن الغالب أنها كانت من بيت يوسف بن تاشفين فحسب .

(٢) أى على غرناطة .

(٣) سيف الدولة أحمد بن هود هذا هو ابن عماد الدولة عبد الملك بن أحمد المستعين صاحب سرقسطة . وكان عماد الدولة عبد الملك بن هود رجلا ضعيف النفس شديد الحرص على البقاء فى سرقسطة بأى ثمن ، وكان المرابطون قد استقروا فى مرسية وبلنسية وتطلعوا نحو سرقسطة ، —

وتعاون ابنُ هود مع ابن أضحى على قتال الملثمين وحصارهم بالقصبة أشهراً ، وفى أثناء ذلك جرحوا ولدَ ابن هود وأسروه وأدخلوه القصبةَ ، فمات من جراحه فغسلوه وكفنوه وجعلوه فى نعش ، ودفعوه إلى أبيه فدفنه .

قال : ثم مات القاضى ابنُ أضحى ، وتقدم ابنُه محمد بعدَه مع الرعية فى معاونة ابن هود . ثم إن ابنَ أبى جعفر قاضى مرسية الثائرَ بها جيَّش لمعونة أهل غرناطة ، فلما وصل إلى ما يقرب منها — وهو فى ألفى فارس من أهل الشرق — خرج الملثمون إليه فهزموه وقتلوه وكثيراً ممن كان معه ، ودفن هو بغرناطة . وعجز ابنُ هود ففر إلى جَيّان ، وكان قد ترك بها ابنَ عمه نائباً عنه وابن مشرف البَراجلى[1]

= فتحالف عبدالملك بن هود مع ألفونسو الأول الملقب بالمحارب ملك أرغون ونَبَرَّة (٤٩٩ — ٥٢٩ / ١١٠٤ — ١١٣٤) ، فأسرع القائد المرابطى محمد بن الحاج ودخل سرقسطة سنة ١١٠٩/٥٠٣ ، وانتقل عبد الملك بن هود إلى حصن روطة Rueda حيث أقام فى حماية ألفونسو المحارب وتوفى سنة ٥٢٤ / ١١٣٠ وقام من بعده ابنه أحمد سنة ٥٢٥ / ١١٣١ أو ١١٣٢/٥٢٦ ، وكان معدوداً فى جملة أتباع ألفونسو المحارب يقاتل من يأمره بقتاله ، مسلما كان أو غير مسلم . ثم تنازل عن روطة لألفونسو السابع ملك قشتالة فى مقابل إقطاع بناحية طليطلة حتى سنة ١١٤٤/٥٣٩—١١٤٥ وهى السنة التى قتل فيها تاشفين بن على بن يوسف وبدأت الثورة على المرابطين فى الأندلس ، فأسرع أحمد بن هود واحتل قرطبة بمعاونة أهلها وألفونسو السابع . وقد فصلت مدونة ألفونسو السابع ***Cronica del Emperador Don Alfonso VII*** كيف اتفق أحمد بن هود مع ملك قشتالة على أن يعمل على إشعال الثورة على المرابطين ، وفصلت كذلك كيف اشترك أحمد بن هود فى حملة ألفونسو المحارب على الأندلس والتخريب الذريع الذى أنزله ببلاد المسلمين . وبعد ذلك يبدأ أحمد بن هود دوره فى هذه الفتنة التى قامت على المرابطين فى الأندلس وكادت تقضى على ما بقى منه إذ ذاك لولا تدارك الموحدين إياه ، والمسئول عن ذلك رجال مثل ابن حمدين وابن قسى وأحمد بن هود وسيدراى بن وزير ومن إليهم . وقد تسمى أحمد بن هود هذا بسيف الدولة ، وتكتبه المراجع الإسبانية **Zafadola** .

Cf. : Fr. CODERA, *Decadencia y desaparición de los Almorávides*, p. 71 sqq.

(١) الأصل : وإن مشرف ، ويغلب أن صحتها ما أثبتناه . والبراجلى نسبة إلى البراجلة ، وهى مجموعة من أقاليم كورة إلبيرة كل منها تسمى بُرجالة : برجالة أنْدَرَة ، وبرجالة أبى جرير ، وبرجالة قيس ، وبرجالة النليول وغيرها :

فوفيا له . وتغلب الملثمون على مدينة غرناطة ، وفر محمد بن على بن أضحى إلى المنكّب ، ثم منها إلى حصن بنى بشير .

وحكى غيره أن ابن أضحى لما دعا لابن حَمْدِين فى رمضان سنة تسع وثلاثين ، تمنع الملثمون بقصبة غرناطة — وكانوا جماعةَ أهلَ بأسٍ ونجدة ، فيهم بقية أمرائهم ونقاوة أبطالهم — فحاربوه ثمانيةَ أيام ، إلى أن وصل من جَيّان بعضُ قواد الثغر مدداً لابن أضحى ، فاضطربت[1] محلته بالمصَلى ، وانضاف إليه من غرناطة جمع وافر ، / فخرج إليهم الملثمون من الغد ، وهزموهم أقبح هزيمة ، [١٥٠-ا] وقتلوا منهم مقتلة عظيمة . ثم عادوا إلى القصبة ، وضيقوا على ابن أضحى وأهل البلد ، ومنعوهم المرافق ، ودامت الحرب بين الطائفتين بداخل المدينة وخارجها ، إلى أن ورد ابنُ أبى جعفر القائم بمُرْسِية فى جموع وافرة — يقال إنهم كانوا اثنى عشر ألفاً ، بين خيل [ورجل][2] فخرج إليه الملثمون مستميتين ، وقد اشتدت شوكتُهم وكثفت جماعتُهم ، فهزموه وقُتل ابنُ أبى جعفر ، ولم ينج من عسكره إلا القليل ؛ وانصرف الملثمون إلى معقلهم ظاهرين على عداتهم ظافرين فى حركاتهم .

ثم قدم ابنُ هود ، ودخل غرناطة من باب مَوْرور ، ومعه ابنُه عِماد الدولة فخرج إليه ابنُ أضحى راجلا ، وسلم عليه وأنزله . واستسقى ابنُ هود ، فأمر له ابنُ أضحى بقدحِ زجاج فيه ماء معدٌّ لإتلاف مَن يشربه ، فعند إخراجه صاحت به العامةُ : « لا تشربْه يا سلطان ! » ، وحذّرته العاقبةَ ، فخجل ابنُ أضحى ، وتناول القدحَ وعبّ فيه ينفى الظِّنّةَ بذلك عنه ، فمات من ليلته .

ونزل ابنُ هود بعض البساتين بظاهر غرناطة ، وأقام هنالك عشرةَ أيام ،

---

(١) الأصل : فاضطرب .

(٢) أضفت هذه الكلمة للسياق .

ثم انتقل إلى القصبة الحمراء ، والقتالُ بين الملثمين وأهل المدينة متصل . وفى بعض تلك الأيام أثخنوا ابنَه جراحاً وأسروه ، فمات من ليلته ، فدفنوه إلى أهل البلد مكفناً ليدفنوه أو يحملوه . ولم يُقِم ابنُ هود بعد ذلك إلا نحو شهر فى مظالم وتنويع مغارم ، حتى لَهَمَّ به أهلُ غرناطة ، فانخزل عنهم ليلا وفر إلى مُرسية ، وقيل إلى جَيّان .

وقام بعدَه بأمر غرناطة أبو بكر محمد بن أبى الحسن بن أضحى ، وذلك فى أول سنة أربعين وخمسمائة ، وأقام ثمانية أيام يُغادَى ويُراوَح بالقتال ، حتى هرب من ليلة الجمعة القابلة إلى المنـكَّب[1] . وعند هربه تصالح أهلُ المدينة والملثمون — وأميرُهم على بن فَنُّو قد توفى ، فخلفه ميمون بن يَدَّر بن ورقاء — وقيل : بل دخلها عنوةً على أبى على المنصور بن محمد بن الحاج فى نيابته عن يحيى بن على ابن غانية ، وأقام إلى أن أسلمها إلى الموحدين أعزهم الله سنة إحدى وخمسين وخمسمائة .

وكان أبو الحسن بن أضحى — فى حداثته وبعدها — أبيّ النفس ، عالى الهمة ، فقيهاً يناظَرُ / عليه ، أديباً ، صاحبَ بديهة . قرأتُ بخط أبى عبد الله [١٥٠ — ب] محمد بن أبى عمر يوسف بن عبد الله بن عَبّاد البَلَنْسِىّ ، وحدثنى الحافظُ أبو الربيع ابن سالم عنه ، وأنشدنى ذلك غيرَ مرة ، قال : قال أبى : أنشدنا صاحبُنا أبو بكر بن الغفائرى ببَلَنْسِيَّة — وكتبها لى بخطه — قال : أنشدنى الشيخ المحدث[2]

---

(١) المنكّب ، تسمى اليوم Almunécar وهى فرضة صغيرة على البحر تابعة لمركز مُطْرِيل Motril فى مديرية غرناطة ، وهى على ٢٣ كيلومتراً غربى مطريل . وفى المنكب نزل عبد الرحمن الداخل عندما عبر إلى الأندلس من المغرب .

انظر : الإدريسى ، ص ١٩٩ — الروض المعطار رقم ١٧٩ ص ١٨٦ والترجمة الفرنسية ص ٢٢٥ .

(٢) الأصل : الم ، وقد أكملتها بما يناسب المعنى .

أبو حفص عمر بن محمد بن عمر اليَحْصُبِي قال : أنشدنى القاضى أبو الحسن بن أضحى لنفسه ، وقد دخل مجلسَ علىّ بن يوسف بمراكش ، فلم يَهْتَبِلْ به أحد ، ونزل حيث انتهى به المجلسُ ، فحضره هذان البيتان فاستأذن الأميرَ فى إنشادهما فأذن له فقال :

نحن الأهِلَّةُ فى ظلامِ الحِنْدِسِ حيث احتلَلْنا ثَمَّ صدرُ المجلسِ
إن يبخلِ الزمنُ الخؤونُ بعزِّنا ظُلماً فلم يذهب بعزِّ الأنفسِ

فأمر بترفيعه فى المجلس — لو قال « يذهب » مكان « يبخل » لكان أجود .

وله :

يا ساكنَ القلبِ رفقاً كم تقطِّعُهُ الله فى منزلٍ قد ظلّ مثواكا
يشيِّدُ الناسُ للتحصين منزلَهم وأنت تهدمه بالعُنف عيناكا
واللهِ واللهِ ما حبى لفاحشةٍ أعاذنى الله من هذا وعافاكا

وله :

أزِف الفراقُ وفى الفؤادِ كُلومُ ودنا الترحُّلُ والحِمامُ يحومُ
قل للأحبة : كيف أنعَمُ بعدَكم وأنا أسافر والفؤاد مقيمُ ؟
قالوا : الوَداعُ يهيج منك صَبابةً ويثير ما هو فى الهوى مكتوم
قلت : اسمحوا لى أن أفوز بنظرةٍ ودعوا القيامةَ بعد ذاك تقوم

وله :

روحى لديكِ فرُدِّيه إلى جسدِى مَن لى على فقده بالصبر والجلَدِ ؟
بالله زورى كئيباً لا عزاء له وشرِّفيه ومثواه غداةَ غدِ

لو تعلمين بما ألقاه يا أمـــلى بايعتنِى الودَّ تُصْفِيه يداً بيدِ
عليكِ منى سلام الله ما بقيَتْ آثارُ عينيك فى قلبى وفى كبدى [١٥١-١]

وله :

وشمعـــةٍ يحملها شادنٌ يسترُ وجهاً قمريًّا بهـــا
فكان كالشمس على نورها يكسِفُ منها البدرُ حيث انتهى

وله ، وكتب به إلى ذى الوزارتين أبى جعفر بن أبى [...][1] القرطبى معتذراً :

ومستشفعٍ عندى بخير الورى عندى وأولاهمُ بالشكر منى وبالحمدِ
وصَلت فلمـــا لم أقم بجزائه لففتُ له رأسى حياءً من المجدِ

وله فى الزهد يخاطب [...][2] :

علىٌّ ، قد آنَ أن تتوبا ما أقبحَ الشيبَ والعيوبا
شِبتَ ، وما تُبتَ من بعيدٍ سوف تُرى نادماً قريبـــا
تركب للهو والمعـــاصى صعبـــاً وتستسهل الذنوبا

---

(١) سقطت بقية الاسم من الأصل ، ولم أجد من أهل هذه الفترة من يحتمل أن يكون المراد هنا إلا أبا جعفر أحمد بن عبد العزيز بن أبى الخير الأنصارى المعروف بالمَوْرُورِى ، من أهل سرقسطة وسكن قرطبة ، وهو من تلاميذ أبى على الصدفى ، ذكره ابن الأبار فى المعجم ، رقم ٧ ص ١١ .

(٢) هنا أيضاً سقط اسم المخاطَب ، ويفهم من الأبيات أن اسمه على . والغالب أنه قال هذه الأبيات مخاطبا نفسه .

١٤٥ — مروان بن عبد الله بن مروان بن محمد بن مروان ابن عبد العزيز ، أبو عبد الملك

لما انتهى إلى بلنسية الخبرُ بقيام أبى جعفر حَمْدِين بن محمد بن حمدين وبيعته بقرطبة وبجامعها الأعظم فى يوم السبت الخامس من شهر رمضان سنة تسع وثلاثين وخمسمائة ، وبانصراف ابن غانية عن لَبْلَة — وقد أعجزه أمرُها وتعذر عليه فتحُها — اضطرب أهل بلنسية ووالِيها حينئذ أبو محمد عبد الله بن محمد بن على ، ابنُ أخى أبى زكرياء بن غانِيَة[1] ، وقاضيها أبو عبد الملك هذا — ولاه تاشفين بنُ على بن يوسف فى الرابع والعشرين من ذى الحجة سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة — فاجتمعا في الحين ، على منافسةٍ كانت بينهما فى الباطن ، واتفقا على الائتلاف وترك الخلاف . وحضر الناسُ بالمسجد الجامع ، فقام فيهم مروانُ خطيباً يذكِّر بجهاد اللمتونيين للروم ، ونصرِهم للجزيرة ، واستنقاذِهم بلنسية من أيديهم ، ويحض على التمسك بدعوتهم والوفاء لهم . ثم قام / عبدُ الله بن محمد [١٥١-ب] الوالى ، وتكلم بما حضره فى هذا المعنى ، وذكّر الناسَ بما انتظم بينهم وبين عمه من الصحبة ، وانفصلوا .

---

(١) لكى تتضح العلاقة بين هذين الاثنين نورد الجدول البيانى التالى :

على بن يوسف المسوفى + غانية

- محمد بن غانية
  - أبو محمد عبد الله
- أبو زكريا يحيى بن غانية

فنُمِي إلى عبد الله من القول ـــ عن القاضى وغيره ـــ ما أزعجه ؛ وليلةَ يوم الأربعاء ، الثامن عشر من رمضان ، أنفذَ عيالَه وأثقالَه إلى شاطبة ، وأصبح هو بالوَلَجَة[1] . فدار بينه و بين الجند ما أوجب تمزيقَ خبائه ، وللفور أخذ فى الفرار مع قومه . فلما استقروا بشاطِبة ، أغارت خيلُه على جهات بلنسية فاكتسحت ما وجدت ، وتظلم الناسُ إلى ابن عبد العزيز ، ورغب إليه الجندُ والعربُ ووجوهُ أهل البلد فى التأمُّر عليهم ، فأبى وقال : « اختاروا من شيوخكم مَن تقدِّمونه » ، فاتفقوا على بعض اللَّمتونيين الباقين ببلنسية بعد فرار عبد الله ابن محمد . وتمشَّتِ الحالُ على هذا أياماً .

وأراد هذا المجتَمَعُ عليه من لَمْتُونة أن يقبض على ابن عبد العزيز ، فلم يستطع . ثم خامره الروع ، فلحق بشاطبة ، هو والباقون معه من أشياعه . وحينئذ وقع الإجماعُ على ابن عبد العزيز ، فاستخفى إلى أن انفرد به أبو محمد عبدُ الله ابن عِيَاض قائدُ الثغر ، وعبدُ الله بن مَرْدَنِيش وقالا له : « هذا الأمر لا بد لك منه ، والرأى المبادرة » ، فقبل ذلك وتم [أمرُه][2] والبيعة له يومَ الاثنين الثالث من شوال[3] ، وولَّى عبدَ الله بنَ عياض الثغرَ وما والاه ، وضم إلى نظَره ما كان بأيدى أصهاره بنى مَرْدَنِيش قبل ظهورهم . والملثمون أثناء ذلك يغيرون على الجهات ، ويعيثون فيما يجاورهم من البسائط والمعاقل ، فاستدعى ابنُ عبد العزيز أجنادَ الثغر ، ونهض بهم إلى منازلة شاطِبة . فانحدر الملثمون من قصبتها إلى المدينة ،

---

(١) ولجة بلنسية ، سبق أن تكلمنا عنها .

(٢) أضفت هذه الكلمة للسياق .

(٣) يلاحظ تسرع أولئك الناس فى الحركة والوثوب بالأمر ، فإن بيعة ابن حمدين فى قرطبة كانت فى ١٥ رمضان ٥٣٩ ، ولابد أن الخبر وصل بلنسية بعد أيام ، وفيما بين وصول هذا الخبر و٣ شوال حدث كل ذلك بما فيه من اتفاق ونقض وهروب وغارة وحرب واختفاء ، ثم ظهور وعرض وتمنع وقبول .

ونهبوا الديار وسبوا النساء ، وقدم ابنُ عبد العزيز على هذه الحال يومَ الجمعة الثامن عشر من شوال ، فكانت بينه و بينهم مواقفات ظهِر فيها عليهم ، حتى لجأوا إلى القصبة منهزمين .

ووصل أبو جعفر محمد بن عبد الله بن أبى جعفر بعسكر مُرسية فى آخر شوال ، فأقاما على حصار شاطبة ، متفقَين فى الظاهر ، مختلفَين فى الباطن ، وكل واحد منهما يرى أنه أولى بها .

[١٥٢-١] واضطربت/ مُرسية إثرَ ذلك ، فتوجه إليها ابنُ أبى جعفر مصلحاً ومسكِّنا ، ثم عاد إلى حصار شاطبة . ووصل ابنُ عياض بأهل الثغر معيناً لأميره ابنِ عبد العزيز ، فلم يجد عبدُ الله بن محمد بدًّا من الفرار ، ولحق بالمَرِيَّة فى خبر طويل ، ومنها ركب البحر إلى أبيه محمد بن على ، وهو بمَيُّورْقَة قد ملكها واستقر فيها برأى أخيه أبى زكرياء يحيى بن على ، عند ثورة العامة بإشبيلية منصَرَفَه من حصار لَبْلَة .

ولما هرب عبدُ الله من قصبة شاطبة استولى عليها ابنُ عبد العزيز صلحاً ، فحصَّنها وعيَّن لها ضابطاً وصدَر إلى بلنسية ، فيقال إنه دخلها راكباً على جمل فى زى الجند ، وجُددت له البيعةُ يومَ قدومه ، وذلك فى صفر سنة أربعين . وانصرف ابنُ أبى جعفر إلى مُرسية ، ثم قُتل على إثر ذلك بجهة غرناطة ، فانضافت لَقَنْت[1] وأعمالُ شاطبة إلى ابن عبد العزيز .

---

(١) لقنت : فى التقسيم الإدارى الأندلسى كانت لقنت مدينة من مدائن كورة تدمير (صفة الأندلس للرازى ، ص ٧٠ — ٧١) ، وقد وصفها الإدريسى (صفة الأندلس والمغرب ، ص ١٩٣) — ونقل ابن عبد المنعم الحميرى نص كلامه (رقم ١٦١ ص ١٧٠) — بأنها مدينة صغيرة ، بها سوق ومسجد جامع ومنبر ، ويتجهز منها بالحلفاء إلى جميع بلاد البحر ، وبها قصبة منيعة جداً ، وعلى صغرها تنشأ بها المراكب السَّفَرية والحراريق . ولقنت قرضة قديمة سماها الرومان Ilicitanus ، ومن هنا جاء اسمُها فى العربية ومنه اسمها اليوم أليكانتى Alicante ، وهى من المدائن السبع التى صالح عليها تُدمير ، ولهذا دخلت فى كورة تدمير فى التقسيم الإدارى . —

وعند استقلاله بالرئاسة خانه الجندُ ، ولم تَفِ الجبايةُ بالواجبات ، فتعللوا عليه بذلك ، وعزموا على خلعه ، وخاطبوا ابنَ عِيَاض يستعجلونه فى الوصول إليهم من مُرسية — وكان قد ملَكها بمداخلة أهلِها وخلعَ أبا عبد الرحمن بنَ طاهر[1] منها فى العاشر من جمادى الأولى من سنة أربعين المذكورة — فلم يَرُعِ ابنَ عبد العزيز إلا إحداقُ الجند بقصره يومَ الثلاثاء السادس والعشرين من شهر جمادى الأولى المذكور — وحكى ابنُ صاحب الصلاة أن ذلك كان فى الخامس والعشرين منه — فخرج راجلا متنكراً ، وتدلَّى من سور بلنسية ليلا ، واعتسف الطريق دون دليل حتى لحق بجبال المَرِيَّة ، واجتمع بالقائد محمد بن ميمون ، فقَبَض عليه وقيده وفاء لبنى غانية ، وأقام عنده إلى أن دفعه إلى عبد الله بن محمد[2] ، عدوِّ ابنِ عبد العزيز وطريدِه من بلنسية وشاطبة ، وقد ورد على المَرِية فى قِطَع

= وقد اضمحل أمر لقنت خلال النصف الثانى من القرن الثانى عشر الميلادى ، وتنافس عليها الطامعون حتى عرض صاحبها أبو جميل زيان بن مردنيش على خايمه الأول المعروف بالفاتح ملك أرغون بيعها إياه مع ميورقة فى مقابل ٥٠٠٠ بيزانت من الذهب (البيزانت نحو دينار) ، ولكن هذا رفض العرض لأن لقنت وإقليمها كانت من النواحى التى اتفق ملوك النصارى على أن تكون من نصيب ملك قشتالة . وقد استولى عليها فرناندو الثالث ملك قشتالة سنة ١٢٥٨/٦٥٦ بعد حصار قصير . ولقنت اليوم عاصمة مديرية بحرية تحمل نفس الاسم تقع جنوبى مديرية بلنسية وشرق مديريتى البَسِيط ومرسية . وهى من أكبر موانى الساحل الشرقى لإسبانيا .

Cf. MADOZ, *op. cit.* I., 611 sqq.

(١) هو حفيد أبى عبد الرحمن بن طاهر الذى ترجم له ابن الأبار فيما سبق .

(٢) هو عبد الله بن محمد بن على بن يوسف المسوفى ، وهو من بنى غانية ، وابن أخى يحيى بن غانيـــة .

ميورقة برسم اتِّباع العدو ، فعفَّ عبدُ الله عن دمه ، واحتمله معه مقيداً ؛ ونقم الناسُ على ابن ميمون(١) فِعلَه .

ويقال إن عبد العزيز لما غدر به الجندُ فر إلى قُلْبِيرة(٢) ، ثم رجع إلى بلنسية مستتراً ودخل دارَه القديمة ، فعُثر على خبره وطُلب حتى أحرِق بعضُ دوره ، فخرج ثانيةً مستخفياً إلى مرسية ، واقتفى أثرَه يوسفُ بن هلال إلى مقربةٍ منها ، ففاته . وأقام هو بمرسية ثلاثةَ أيام ، ثم خرج منها إلى المرية فقبض عليه ابنُ ميمون . [١٥٢-ب]

ولما خلعه الجندُ قدَّموا عبدَ الله بن محمد بن سعد بن مَرْدَنِيش نائباً عن ابن عِيَاض ، وأسكنوه قصرَ بلنسية ، وقدِم ابن عِيَاض فى آخر جمادى الأولى — وقد وافتْه بيعةُ أهلها فى طريقه إليها — فأقام بها ناظراً فى أمورها ومصلحاً لثغورها . ثم عاد إلى مرسية ، وترك صهرَه أبا محمد بن سعد ببلنسية أميراً عليها من قِبَله — وهو عمُّ أبى عبد الله بن سعد ، أمير الشرق بعد ذلك والمعروف

---

(١) محمد بن ميمون هو أمير البحر أيام المرابطين ، وكانت له فى أيامهم مواقع كبيرة فى الدفاع عن الجزائر الشرقية وسواحل بلنسية وتدمير ، وهو الذى أسر الرُّبَرْتِير القائد القطلونى الذى ذكرناه آنفا ، ثم دخل بعد ذلك فى خدمة الموحدين وقاد أسطولهم .

(٢) الأصل قُلْبيرة ، ولم أجد فى ناحية بلنسية موضعاً بهذا الاسم ، والموجود **Cullera** فرجح عندى أنها المرادة هنا . وقليرة ميناء صغير جنوبى بلنسية ، وهو تابع لمديريتها على مقربة من سُوَيْقة **Sueca** جنوبى البحيرة **Albufera** المعروفة هناك . وقد ذكر مادوث أنها كانت تسمى أيام المسلمين **Colira** (قليرة) . وقد سقطت قليرة فى يد خايمه الأول ملك أرغون سنة ١٢٣٦/٦٣٤ ، أسلمها إليه صاحبها جميل أبو زيان ، فأقطعها ملك أرغون لفرسان المعبد لمواصلة الحرب ضد المسلمين .

Cf : MADOZ, *op. cit.* VII, p. 278 sqq.

وانظر أيضاً الترجمة الفرنسية للروض المعطار ، ١٢٦ تعليق ٢ .

بصاحب البَسيط[1] ، لأنه استشهد فيه مع سيف الدولة بن هود . وقَبض أهلُ

(١) البسيط : هذه واحدة من المرات القلائل التى ورد فيها اسم « البسيط » فى مراجعنا العربية ، مع أن هذا الموضع الصغير أعطى اسمه لمديرية كبيرة فى إسبانيا اليوم **Albacete** وقاعدتها تحمل نفس الاسم . ويغلب على الظن أن موضع مدينة البسيط الحالية هو موضع الحصن الذى كان يسمى « اللُّجّ » ، لأن ابن الأبار سيقول بعد ذلك بمناسبة مقتل عبد الله بن سعد بن مردنيش : « بالموضع المعروف باللُّجّ وبالبسيط على مقربة من جِنْجَالَة »**Chinchilla**. فأما حصن اللج فقد ورد فى الروض المعطار (مادة شلبطرة ، ص ١٠٨) باسم حصن الثلج ، وهو خطأ . وفى مادة « العقاب » **(Las Navas de Tolosa)** (قال الحميرى إن الناصر الموحدى فى طريقه إلى المعركة عسكر قرب حصن شلبطرة واللج ، واستولى عليهما ، مما يفهم منه أن حصن اللج قريب من شلبطرة **Salvatierra** ، وهذا يصدق على مكان مدينة البسيط الحالية . وقد ذكر الضبى « البسيطَ » فى مقدمة « البغية » التى يوجز فيها أحداث الفترة التى يتكلم عنها ابن الأبار هنا ، فقد قال إن المستنصر بن هود خرج مع ابن عياض « إلى غزوة البسيط » واستشهد بها فى نصف شعبان سنة ٥٤٣ (البغية ، ص ٣٣) .

وأما جنجالة فتسمى الآن **Chinchilla de Monte de Aragón** وهى بلدة صغيرة فى مديرية البسيط على ١٥ كيلومترا جنوب شرق العاصمة . وقد ذكرها الإدريسى (ص ١٧٥) وقال إنها مشهورة ببسط الصوف ، وذكرها أيضاً ياقوت بالإمالة الأندلسية : جنجيلة ، ومن هنا أتى النطق الإسبانى : تْشِنْشِيلَا . ويفهم من هذا كله أن البسيط كان يطلق على حصن اللج أو حصن آخر مجاور له فى منطقة واسعة تكثر فيها الحصون مثل شلبطرة . وكان إقليم البسيط على هـذا يشمل القسم الشمالى الشرقى من كورة مرسية وجزءاً من إقليم المانشا **(La Mancha)** من اللفظ العربى « المَنْجَنِى » وهى الأرض المرتفعة – وجزءاً من إقليم قشتالة الحديدة ، أى ما يقابل مديرية البسيط الحالية . ولم تشتهر هـذه الناحية إلا فى أواخر العصور الإسلامية ، وقد كانت أراضيها موزعة بين كور قرطبة وغرناطة ومرسية وبلنسية . وبعد انهيار التنظيم الإسلامى انكمشت كورة قرطبة إلى الغرب وغرناطة إلى الجنوب ومرسية وبلنسية إلى الشرق ، ونتجت عن ذلك مساحة واسعة تقوم فيها حصون متفرقة مثل اللج وشلبطرة وجنجالة أطلق عليها اسم « البسيط » ، وقد سمى حصن اللج بحصن البسيط نسبة إلى هذه المساحة الواسعة . وقد سقطت حصون البسيط وجنجالة وشلبطرة والإقليم كله بعد سنة ١١٤٦/٥٤١ بقليل .

وإلى سنة ١٤٠٣ كانت « البسيط » بليدة صغيرة تابعة لجنجالة ، ثم مدنت – أى اعتبرت مدينة من الناحية الإدارية – سنة ١٤٠٥ ، ثم وسعها الملكان الكاثوليكيان – فرناندو وإيزابيلا – سنة ١٤٩٢ ، فأنشأا إلى جانبها مبانى جديدة مازالت تزيد مع الزمن حتى قامت مدينة جديدة إلى جانب القديمة ، وأصبح موضع هذه الأخيرة يعرف باسم **Villavieja** (البلد القديم) أو =

الثغر على أبي جعفر أحمد بن جُبير (١) — وهو والد أبي الحسين الأديب الزاهد — واحتملوه مقيداً إلى حصن مُطَرْنِيش (٢) — وهو من أُمنع معاقل بلنسية ، وسُجن فيه إلى أن فَدى نفسَه بثلاثة آلاف دينار ، إلى ما نُهب له من دفاتر وذخائر ، فسُرِّح وتوجه إلى شاطبة واتخذها داراً .

= Villa cerrada (البلد المغلق) . وهذه التسمية الأخيرة تدل على أن المراد حصن اللج القديم وما يحيط به من أرض مسورة ، ثم عرف هذا القسم القديم من البلد — ولا زال يعرف إلى اليوم — باسم Alto de la Villa (أعلى البلد) إشارة إلى أنه يقوم على مرتفع ، فى حين نشأ البلد الجديد على السفح . وقد أنشئت مديرية البسيط Provincia de Albacete بمرسوم ملكى صدر فى يناير ١٨٣٤ ، واعتبرت مدينة « البسيط » عاصمتها .

ولما كانت ناحية البسيط وحصونها لم تذكر فى الحوليات الإسلامية إلا فى أواخر العصر المرابطى فإننا نستنتج من ذلك أن ذكرها كان نتيجة لضياع كثير من الأراضى من أيدى المسلمين وصعوبة الثبات فى نواح عامرة مرغوب فيها ، ومهددة تبعاً لذلك ، فكانت حصون مثل اللج وجنجالة وشلبطرة ملجأ ومعتصما لمغامرين من طراز سيف الدولة بن هود ومروان بن عبد العزيز . وقد ارتبطت أسماء هذه الحصون بكثير من المآسى التى شهدتها هذه الحقبة وما تلاها ، ففيها — كما يروى ابن الأبار — قتل — أو انتحر — سيف الدولة بن هود ، وعلى حدودها الجنوبية المتاخمة لمديرية جيان وقعت معركة العقاب Las Navas de Tolosa فى منتصف صفر ٦٠٩/١٧ يوليو ١٢١٢ التى انهزم فيها محمد الناصر رابع خلفاء الموحدين ، وتلاشى بعد ذلك رويداً رويداً سلطان الموحدين فى الأندلس ، وتلاشى أيضاً الأمل فى الثبات على جبهة الوادى الكبير ، وارتد المسلمون إلى ما يلى ذلك جنوبا ، وتمكنوا من الثبات على خط نهر شنيل ، مكتفين بما يقع جنوبه .

انظر — بالإضافة إلى المراجع التى ورد ذكرها فى متن التعليق — مواد جنجالة وشلبطرة والعقاب فى الروض المعطار — دائرة المعارف الإسلامية ، الطبعة الأولى ، مادة البسيط Albacete بقلم فردينانده زايبولد ، ج ١ ص ٢٥٣ ب ، و :

MADOZ, *op. cit.*, I, p. 243 *sqq.*

AMBROSIO HUICI MIRANDA, *Las Grandes Batallas de la Reconquista durante las Invasiones Cristianas* (Madrid, 1956) p. 231 *sqq.*

(١) الرحالة ، صاحب الرحلة المعروفة .

(٢) مُطَرْنِيش Montornes مدينة صغيرة اليوم فى جنوب مديرية برشلونة فى أرض مرتفعة كثيرة الحصون . وفى العصور الإسلامية كانت من حصون الحدود بين كورة طرطوشة =

واستطالت الأيدى على سائر أصحاب ابن عبد العزيز ، وانتُهب القصر أياماً ؛ وعند إشخاصه مقبوضاً عليه إلى ميورقة سُجن فى بيت مظلم مُطبَق كان لا يعرف النهار فيه من الليل ، وتُرك أوقاتاً دون غذاء ولا ماء ، وأقام مسجوناً نحواً من عشرة أعوام وقيل اثنى عشر عاماً . وفى سجنه ذلك قال قصيدة يعارض بها أبا مروان الجزيرى[1] أولها :

يا نفسُ دونَكِ فاجزعى أو فاصبرى طلع الزمانُ بوجهـــه المتنمِّرِ

وهى طويلة ضعيفة لم يمر له فيها كبيرُ إحسان ، فلذلك تركتُها . ثم إنه تخلص من معتقَله بسعى أبى جعفر بن عطية الوزير فى ذلك ، حتّى خوطب إسحاق بن محمد بن على بتسريحه وقد وَلى ميورقة بعد قتل أبيه محمد وأخيه عبد الله[2] فى سنة ست ، بل سبعٍ ، وأربعين وخمسمائة ؛ وجنح إلى الموحدين أعزهم الله فامتثل إسحاق ذلك ، ووجّه به إلى بِجَاية ومنها توجّه إلى مراكش ،

= وكونتية برشلونة . وبعد زوال الخلافة وخلال عصر الطوائف تداعى خط الحصون الذى كان يؤمن بلاد الإسلام فى هذه الناحية ، ولم يبق للمسلمين إلا بعض الحصون المنيعة مثل مطرنيش هذا ، وعندما استولى السيِّد القمبيطور على بلنسية صارت مطرنيش فى يد ملك أرغون ، وعندما استعاد المرابطون بلنسية عاد حصن مطرنيش إلى الإسلام ، ثم خرج من أيديهم عندما استولى خايمه الأول على بلنسية وتوابعها . ويسمى الحصن فى بعض النصوص اللاتينية : Mons Orenes (جبل أورِنس) .

Cf : R. MENÉNDEZ PIDAL, *La Espana del Cid*, I, p. 504, 533, II, 771 — 772.

(١) هو أبو مروان عبد الملك بن إدريس الجزيرى ، وقد سبق التعليق عليه . والقصيدة المشار إليها هنا قصيدة « فى الآداب والسنة » كتب بها إلى بنيه ينصحهم ، ومنها :

واعلم بأن العلم أفضل رتبة وأجل مكتسب وأسنى مفخـر

انظر : جذوة المقتبس للحميدى ، رقم ٦٢٤ ، ص ٢٦١ — ٢٦٢ .

(٢) هؤلاء جميعاً من بنى غانية .

فسعى له ابنُ عطية فى حضور المجلس السلطانى . ولما طولب[1] قال يغرى به ويحرض عليه ، غامطاً حقَّه وكافراً يدَه :

[١٥٣-١] /قل للإمام ـ أطال الله مُدتَه قولا تبينُ لذى لُبٍّ حقائقُهُ :
إن الزَّرَاجِين[2] قومٌ قد وَتَرْتَهُمُ وطالبُ الثأر لا تؤمَنْ بوائقُهُ
وللوزير[3] إلى أربابهم مَيَلٌ لذاك ما كثُرتْ فيهم علائقُهُ
فبادرِ الحزمَ فى إخماد نارهمُ فربما عاق عن أمرٍ عوائقُهُ
الله يعلم أنى ناصح لكمُ والحق أبلج لا تخفَى طرائقُهُ
همُ العدوُّ ومن ولاهمُ كهمُ فاحذر عدوَّك واحذر من يصادقُهُ

فكانت هذه الأبيات من أقوى الأسباب فى قتل ابن عطية رحمه الله . وله أيامَ خموله بالمغرب يصف حاله :

أفٍّ لدنيا تقلَّبتْ بى تقلُّبَ المشىِ والغُدُوِّ
قد كنتُ فيما مضى عزيزاً مُسامِيَ النجمِ فى العلوِّ
فحالىَ الآن لو رآها بكى لها رحمةً عدوِّى

وتوفى بمراكش سنة ثمان وسبعين وخمسمائة ، ومولده سنة خمس وخمسمائة .

---

(١) أى ولما طواب أبو جعفر بن عطية ، وقد سبق أن فعلنا ذلك .

(٢) الزراجين والزراجنة صفة يستعملها بعض كتاب الموحدين ويعنون بها المرابطين . جاء فى أخبار المهدى محمد بن تومرت للبيذق (ص ١٢) : « جماعة الملثمين الزراجنة الساكنين بالسوس دمرهم الله » ، وفى ص ٢٨ : « وكان الناس فى القتال مع الزراجنة » ، وقال فى تفسير عبارة قالها ابن تومرت بالبربرية : « يعنى بالباطل الزراجنة وما كانوا عليه » . . الخ . وقال ابن القطان فى تفسير هذا اللفظ إنه جمع زَرَجان وهو طائر أسود البطن أبيض الريش شبه ابن تومرت به المرابطين لأنهم « بيض الثياب سود القلوب » .

(انظر نظم الجمان بتحقيق الدكتور محمود مكى ص ٨٥) .

(٣) يريد بالوزير أبا جعفر بن عطية .

١٤٦ — محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن ابن طاهر القيسى ، أبو عبد الرحمن

لأهل بيته فى قِدم الرئاسة وكرم السياسة ذكر مأثور وأثر مذكور ، وقد أوردتُ كلامَ أبى مروان بن حَيّان فى أوّليتهم . وكان أبو عبد الرحمن الأولَ منهم فى الرسائل ، كأبى عبد الرحمن الأخير فى علوم الأوائل ، ذلك للبيان والتشقيق ، وهذا للنظر والتحقيق .

وأول[1] من ثار بمرسية بعد انقراض الدولة اللمتونية أبو محمد بن الحاج الاورقى — وهو عبد الرحمن بن جعفر بن إبراهيم — قدّمه أهلُ مرسية فدعا لابن حَمْدِين أياماً من شهرى رمضان وشوال سنة تسع وثلاثين وخمسمائة — وهى السنة التى كثر فيها الثوار بشرق الأندلس وغربها من القضاة وغيرهم — ثم أظهر التبرم بما حُمِّل ، وأحب الانخلاع مما قُلِّد .

واتفق أن وجّه سيف الدولة بنُ هود قائداً من قواده يعرف بعبد الله بن فتوح/ الثَّغْرى إلى مرسية ، فأخرج ابنَ الحاج منها للنصف من شوال المذكور ، ودعا لابن هود ، ثم أخرِج . [١٥٣-ب]

(١) يورد ابن الأبار فيما يلى موجزاً لأحداث شرق الأندلس خلال هذه الفترة المضطربة التى مرت بين زوال أمر المرابطين واستقرار الأمر للموحدين فيما بقى للإسلام فى هذه الناحية . وقد ترجم ابن الأبار لبعض من سيجىء ذكرهم فى هذا السرد فى بعض كتبه الأخرى ، فترجم لأبى محمد بن الحاج وهو عبد الرحمن بن جعفر بن إبراهيم بن أحمد المعافرى فى « المعجم » ، رقم ٢١٤ ص ٢٣٣ — ٢٣٥ ؛ ولأبى جعفر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن موسى الخشنى (من أهل مرسية ، يكنى أبا جعفر ويعرف بابن أبى جعفر الخشنى) فى التكملة رقم ٦٣٤ ج ١ ص ١٨٠ ؛ ولأبى العباس المعروف بابن الحلاّل وهو أحمد بن محمد بن زيادة الله الثقفى فى«المعجم» رقم ٢٨ ص ٤٠ ؛ ولمحمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن بن طاهر القيسى فى التكملة ، رقم ٧٧٤ ص ٢٣٨ .

وقدَّم أبو جعفر محمد بن عبد الله بن أبى جعفر الخُشَنى الفقيه فى آخر شوال هذا ، فتولى بالتدبير بقيةَ العام وأشهراً من سنة أربعين ، وكان يقول فى قيامه بالإمارة : « ليست تصلح لى ولست لها بأهل ، ولكنى أريد أن أمسكَ الناسَ بعضهم عن بعض حتى يجىء مَن يكون لها أهلا » . وتوجه إلى شاطبة يعين أبا عبد الملك مروان بن عبد العزيز على محاصرة مَن بها من الملثمين ، ثم خرج غازياً إلى غرناطة ومعيناً للقاضى أبى الحسن بن أضحى ، فى جيش ضخم وجمع كثيف يحكى أنه بلغ اثنى عشر ألفاً بين خيل ورَجْل ، وقد اشتدت شوكةُ الملثمين بقصبتها ، وانضاف إليهم من قومهم خلق كثير ، فبالغوا فى التضييق على مدينتها وأكثروا القتل فى أهلها . ولما سمعوا بمسير ابن جعفر نحوهم تأهبوا له وبرزوا لدفاعه — ويقال إن عبد الله بن محمد بن على بن غانية كان فيهم ، قبل لحاقه بأبيه وقدومه عليه ميورقة إلى أمثاله من الأعيان ولاتهم ومشاهير حماتهم — فهزموا ذلك الجمع بمقربة من غرناطة ، وقُتل ابنُ أبى جعفر .

وذَكر ابنُ صاحب الصلاة أن عبد الله الثَّغْرى كان قائداً بكُونْكَة[1] ، فلما سمع بقيام ابن حَمْدين خرج إليه وأقام لديه ؛ واتفق أن وصلته مخاطبةُ أهل

---

(١) فى التقسيم الإدارى للأندلس كانت كُونْكَة (وتكتب أيضاً : قُونْكَة) مدينة من أعمال كورة شنتبرية Santaver (انظر : ياقوت : ٧/ ١٨٦) ولا ذكر لكورة مستقلة بهذا الاسم فى الترجمتين الإسبانية والبرتغالية لجغرافية الرازى ، لأن المترجمين عدلوا التقسيم بحسب ماكان الأمر عليه أيام ألفونسو العاشر ، ولهذا فهى تذكر هناك مع مدينة سالم . وكانت كونكة من أمنع حصون الثغر الأدنى ، ولهذا فإننا نظن أن عبد الله الثغرى المذكور هنا سمى بالثغرى لأنه كان قائداً فى هذا الحصن . وفى أثناء الفتنة التى يتحدث عنها ابن الأبار كانت كونكة قد أصبحت تابعة لبلنسية ، وفى عصر الموحدين اشتد الصراع حول كونكة ، وانتهى الأمر بأن أسلمها صاحب بلنسية إلى ألفونسو الثامن ملك قشتالة فى مقابل سكوته عنه ، وكان ذلك سنة ١٢٢٣/٦٢٠ . ثم أصبحت مدار حرب طويلة بين ملكى أرغون وقشتالة . وهى اليوم قاعدة مديرية تحمل نفس الاسم . والبلد نفسه يقع على نهر وَقَر Huecar أحد نهيرات نهر نقر R. Júcar على ١٧٠ كيلومتراً جنوب شرق مدريد .

مرسية يذكرون تقديمَهم أبا محمد بن الحاج ، وأنه استعفى من ذلك ، فأنفذ إليهم الثَّغْرى والياً ، وقدَّم أبا جعفر بن أبى جعفر قاضياً . قال : فورد يومَ الثلاثاء منتصفَ شوال سنة تسع وثلاثين .

وظهر من أبى جعفر حبُّ الرئاسة ، فحشد الناسَ لقتال الملثمين بأُورِيُولَة[1] ، وغدر بهم عند نزولهم على الأمان فقتلهم . ثم داخَل أهلَ بلده مرسية فى أن يؤمِّروه ، ويتقدم للقضاء أبو العباس بن الحلاّل[2] ، ولقيادة الخيل عبدُ الله الثغرى ، فلم يخالفوه .

وبعد انعقاد البيعة له نبذ طاعةَ ابن حَمْدِين ، ودعا لنفسه ، واقتصر لقبه على « الأمير الناصر لدين الله » وأسقط منه « الداعى لإمام المسلمين »[3] . وقَبَض على الثغرى فسجنه وصهريه ابنى مسلوقة ، وصيَّر قيادةَ الخيل لزَعْنون ، أحد وجوه الجند .

---

(١) أوريولة : هى إحدى المدائن السبع التى عاهد عليها تُدمير ، وعند تحويل بلاد تدمير إلى كورة أيام عبد الرحمن الداخل أصبحت أوريولة من كبار مدائنها . ذكر ذلك الرازى وقال إنها بلدة أولية (صفة الأندلس ص ٧٠/٧١ ، وكرر نفس الكلام الإدريسى ، ص ١٧٣ . وياقوت : ٢١٣/١ يكتبها أريول) واختصها أحمد بن أنس العذرى بمادة طويلة ، وذكرها كذلك أبو الفدا فى تقويم البلدان (بتحقيق رينو ودى سلان) ص ١٧٩ . ويذهب العذرى وابن عبد المنعم الحميرى (الروض المعطار ، رقم ٣٢ ص ٣٤) إلى أن أصل اسمها المدينة الذهبية ، وهذا صحيح ، لأن أصل اسمها Aureola ،واسمها الآن Orihuela ، وهى مركز إدارى فى مديرية مرسية ، تبعد عنها ٢٣ كيلومتراً إلى الشمال الشرق .

انظر بالإضافة إلى المراجع المذكورة : د. م. إ. ج ٣ ص ١٠٦٧ .

(٢) ترجم له ابن الأبار فى « المعجم » (رقم ٢٨ ، ص ٤٠) وهو أبو العباس أحمد ابن محمد بن زيادة الله الثقفى المعروف بابن الحلاّل وقال إنه : « قاضى قضاة الشرق من أهل مرسية، ولبَيته به نباهة . ولاه الأمير محمد بن سعد (بن مردنيش) قضاء عمله ثم نكبه وهلك فى معتقله بأَنْدَه Onda من ثغور بلنسية سنة ٥٥٤ » .

(٣) « الداعى لإمام المسلمين » هو اللقب الذى اتخذه لنفسه القاضى ابن حمدين .

[١٥٤-١] ثم توجَّه إلى شاطبة معيناً لابن عبد العزيز/ فى حصار الملثمين المتقنعين بقصبتها — ورئيسُهم إذ ذاك عبد الله بن محمد بن غانية — فثارت العامةُ بمُرسية عند مغيب ابن أبى جعفر عنها ، وسرَّحوا الثَّغْرى وصهريه من معتقلهم ، فلحق بها وأطفأ تلك النائرة[١] . وهرب الثَّغْرى إلى كُونَكة[٢] ، وعاد هو إلى حصار شاطبة ، إلى أن هرب عبدُ الله بن غانية منها ، فأتْبعه ابنُ أبى جعفر خيلا سنبت ما تجمَّل من المال ، وأفلت هو فلحق بالمرية .

ولما تغلب ابنُ عبد العزيز على شاطبة ، عاد ابنُ أبى جعفر إلى مرسية ، وذلك فى صفر سنة أربعين . ثم توجه بعد ذلك إلى غرناطة مغيثاً أهلَها ، فلقيه الملثمون بخارجها فهزموا جموعه وقتلوه[٣] .

وعند انصراف القَلِّ إلى مُرسية ، أجمع أهلُها على تأمير أبى عبد الرحمن بن طاهر هذا ، وذلك فى أواخر شهر ربيع الأول من السنة المذكورة ، فانتقل إلى القصر ودعا لابن هود ، ثم لنفسه بعده ، وقدَّم أخاه أبا بكر على الخيل . وكان ابن حَمْدِين قد وجّه ابنَ أخيه — وهو المعروف بابن أم العِمَاد — بعسكر فرُد خائباً ، ثم أعاد توجيه عسكر آخر مع ابن عمه المعروف بالفُلْفُلى ، صحبةَ أبى محمد ابن الحاج وابن سوّار وغيرهما من الواصلين من أهل مُرسية إليه ، فصُد عن دخولها وطولب الماثلون إليه .

وأقام ابنُ طاهر فى إمْرته أياماً ريثما خوطب أبو محمد بن عياض بتعجيل الوصول إليهم ، فعجل المسير نحوهم ، وتلقاه زَعْنُون ، وهو وال على أوْرَيُولة ،

---

(١) النائرة : الحقد والعداوة ، وقال الليث : النائرة الكائنة تقع بين القوم ، وقال غيره : بينهم نائرة أى عداوة (اللسان : ٧/١٠٦ ، السطر الأخير) .

(٢) وردت الفتحة على النون فى الأصل ، فتركتها كما هى .

(٣) فى الترجمة التى اختصره بها ابن الأبار فى التكملة (رقم ٦٣٤ ص ١٨٠) يقول إن مقتله كان فى صفر سنة ٥٤٠ ومولده مع الخمسمائة ، وقيل إنه لم يبلغ عند موته ٣٥ سنة .

فبَرِئَ منها[1] إليه وملّكه إياها ، ولحق به الذين خاطبوه من مرسية يحرضونه على قصدها ، ولا عِلم لابن طاهر بذلك ، بل تمادى على تحسين الظن بالذين قدموا من لقاء ابن عياض . وقد برز الناسُ إلى لقائه ، ثم دخل القصر الكبير لايدافعه عنه أحد ، وذلك فى العاشر من جمادى الأولى من السنة . وانتقل ابنُ طاهر إلى الدار الصغرى ثم [خاف على نفسه][2] فتركها وانتقل إلى داره ، وعفّ ابنُ عياض عن دمه لعلمه بضعفه . وكان مع شهامته حسن السيرة .

وفى هذا الشهر خَلع الجندُ مروانَ بن عبد العزيز ببانسية ، واستدعوا ابن عياض فأمّروه ، وأقام أميراً على شرق الأندلس داعياً لابن هود إلى أن قُتل/ [١٥٤-ب] بالبَسيط[3] ، وداعياً بعد ذلك لنفسه .

وخالفه عبدُ الله الثَّغْرى إلى مرسية فى بعض أسفاره منها ، فدخلها وانتزى فيها . وكان قد أنفذه رسولا إلى الطاغية أذفونش ، ليعقد معه السلم ويمالئه على صاحب بَرشلونة ، فعاد من سفارته هذه وزعم أن أذفونش أمرّه على مرسية[4] ، واستعان على دخولها بطائفة من أهل الفساد كانوا يشايعونه ، فتم ذلك وهرب محمدُ بن

---

(١) أى أسلمه إياها . وقد قرأها دوزى ، ص ٢١٩ : فرمى .

(٢) أكملت هذه العبارة بما يناسب السياق ، وقد اخترتها لقول ابن الأبار فى ترجمته فى التكملة (رقم ٧٧٤ ص ٢٣٨) : « ورأس بمرسية بعد انقراض الملثمين يسيراً ، ثم تخلى عن ذلك ، وتلوّن للناس رغبة فى السلامة . وتوفى بمراكش سنة ٥٧٤ » .

(٣) توضيحاً لهذه العبارة نقول إن الذى قتل فى « البسيط » هو سيف الدولة أحمد بن هود .

(٤) قال كوديرا تعليقاً على ذلك : يفهم من « مدونة الإمبراطور» (ألفونسو السابع ملك قشتالة) أن سيف الدولة بن هود كان فَصَلا (أى تابعاً) لألفونسو الأول ، وأنه كان يحكم مرسية باسمه ، فلما قتل سيف الدولة فى البسيط أعطى الإمبراطور مرسية إقطاعاً لخلفه عبد الله بن فرج الثغرى . ولم تطل مدة حكم هذا الأخير فى مرسية ، فقد تولاها من أوائل ذى الحجة ٥٤٠/١٥ مايو ١١٤٦ إلى ٧ رجب ٥٤١/١٣ ديسمبر ١١٤٦ وهو تاريخ موته . وقد ضرب لنفسه عملة تحمل تاريخى سنتى ٥٤٠ و ٥٤١ وسمى نفسه فيها « الرئيس عبد الله بن فرج » .

Cf : CODERA, *op. cit.*, p. 109 - 110.

سعد بن مَرْدَنِيش — نائب بنى عِيَاض فيها — فلحق بلَقَنْت ، وذلك فى أوائل ذى الحجة من سنة أربعين .

ثم قُتل الثَّغْرى سابعَ رجب سنةَ إحدى وأربعين ، واستولى ابنُ عياض ثانيةً على مُرسية وسائر بلاد الشرق ، إلى أن قضى نحبه من سهم رُمى به فى بعض حروبه مع الروم ، يومَ الجمعة الثانى والعشرين من شهر ربيع الأول سنة اثنتين وأربعين ، فكانت ولايتُه عاماً وتسعة أشهر وعشرين يوماً ، وحُمل إلى بَلَنسية فدُفن بها ، ومحمدُ بن سعد إذ ذاك والٍ عليها ، فقام بمواراته . وعلم أهلُها بعهد ابنِ عياض إليه بالإمارة من بعده ، فبايعوا له — ويقال : بل نصبه أهلُها لذلك دون عهد .

وأما أهل مُرسية فأمضوا نيابة علىّ بن عبيد عن ابن عياض بعد وفاته ، إلى أن تخلى هو فى أواخر جمادى الأولى من السنة عما بيده لأبى عبد الله محمد بن سعد ابن محمد بن سعد الجُذامى بن مَرْدَنِيش — وجدُّه هو المعروف بذلك[1] —

---

(١) لن يترجم ابن الأبار لابن مردنيش ، إذ ليس له شعر ، مع أنه أكبر وأخطر الثائرين الذين ظهروا فى شرق الأندلس فى الفترة من زوال أمر المرابطين إلى دخول الموحدين الأندلس . وقد عوض فرانثيسكو كوديرا هذا النقص ، فاختص ابن مردنيش بدراسة مطولة فى كتابه عن اضمحلال المرابطين وزوال أمرهم من الأندلس .

***Decadencia y desaparición de los Almoravides en Espana*, p. 111 sqq.**

ولا يتسع المجال لإيراد ملخص لهذا البحث هنا (والكتاب كله جدير بترجمة كاملة) . ونكتفى هنا بالإشارة إلى تحقيقه للاسم ، فإن مَرْدَنِيش أو مردانيش أو مَرْذَنِيش ليس اسما عربياً ، مما يقطع بأن نسبته الجذامية ليست صحيحة . والواقع أن أصله من أهل شبه الجزيرة ، وقد يكون جده مردنيش هذا دخل فى ولاء بعض الجذاميين وانتسب إليهم ، وهو فرض مقبول ؛ لأن دار بطون جذام بن عَدِىّ بن الحارث بن مرة بالأندلس كانت « شذونة والجزيرة وتدمير وإشبيلية » (الجمهرة لابن حزم ، ص ٣٩٦) .

وربما كان أصل الاسم **Martinez** ، وفى هذه الحالة كان ينبغى أن يكتب بالعربية : مرتينش أو مردينش . أما أن تكون صحة الاسم **Martinéz** لتتمشى مع النطق العربى فأمر غير ممكن ، لأن هذا الاسم لا يمكن نطقه مع نبر المقطع الأخير ، ولهذا فقد اقترح كوديرا أن يكون أصل =

فقوى سلطانه ، وعظم شأنُه . واشتد حذر ابنِ طاهر هذا منه ، لما كان يسمع ويبصر من شهامته وحزامته ، وربما عرض له ابنُ سعد بما يزيده حذراً منه وانقباضاً عنه ، فأخذ فى التلون وأقبل على الانهماك والإدمان ، [و زهد فى الإمارة][1] وطلب السلامة من غائلتها وقطع معه مدته [خائفاً][2] إلى أن توفى ابنُ سعد منسلَخَ رجب سنة سبع وستين وخمسمائة ، فأفرخ روعه ، ورسخ بالدخول فى الدعوة المهدية أمنُه ، وتوفى بمراكش سنة أربع وسبعين — أكثرُ هذا الخبر المنسوق عن ابن صاحب الصلاة ، وجلُّه [...][3] مع ما اندرج فيه زيادة ، عن غيره مستفادة .

= الاسم **Martinus** أو **Mardonius** . وهذا الأخير من أسماء البيزنطيين ، وكانت لهم جالية كبيرة فى قرطاجنة **الحَدْفاء** غير بعيد عن مرسية .

وكان محمد بن سعد بن مردنيش فى هيئته ولباسه وسلاحه أقرب إلى نصارى شبه الجزيرة منه إلى مسلميها ، وكان يتكلم لغاتهم الإسبانية والقطلونية بطلاقة ، وكان الكثير من رجاله وجنده نصارى ، بل أعطى واحداً منهم — هو **Pedro Ruiz de Azagra** — مدينة شنتمرية الشرق (شنتمرية بنى رزين) إقطاعاً وسمح له بأن يقيم فيها أسقفية ، وكان هو نفسه حليفاً **وفَصَلا** لملك قشتالة وكونت برشلونة . ويسمى فى المراجع النصرانية باسم **لُبْ Lobo** أو **Lope** أو الملك **لُبْ El Rey Lobo**

وكان ابن مردنيش يؤدى إتاوة لرايموندو برينجير الرابع **Ramón Berenguer IV** كونت برشلونة ولألفونسو السابع ملك قشتالة قدرها ١٠٠ مثقال من الذهب . وعندما مات كونت برشلونة هذا سنة ١١٦٨ تعهد ابن مردنيش بأن يدفع لخلفه ألفونسو الثانى ملك أرغون ٢٥ ألف دينار مرابطى فى السنة ، وكذلك كان يدفع إتاوة لجمهوريتى بيزا وجنوة فى بعض السنين . وكانت بينه وبين هنرى الثانى ملك انجلترا مراسلات ومهاداة . ورغم هذه الإتاوات كلها فقد انتزع كونت برشلونة من شرق الأندلس طرطوشة (سنة ١١٤٩) ثم لاردة وأفراغة **Fraga** ومكناسة **Mequinenza** أواخر ذلك العام نفسه .

(١ و ٢) أضفت هذه الكلمة " "

(٣) بياض فى الأصل .

ومن شعر ابن طاهر :

[١٥٥-١] /تأيَّدْ على الشطرنج إن كنت لاعباً [... ... ...]

فما أمْره مما يعـــز وإنما يعزُّ علينـــا فيه نقضُ القرائح

وله وقد جرى ذكر سلطان المغرب بينه وبين قينة فى مجلسه فقال :

إمامٌ تناهى فى الأئمة فضـــلُهُ فأصبح مِنا النوعَ يفخر بالشخصِ

وقالت القينة:

تكامل حتى جل عن وصف واصفٍ وأبدى لنا ما فى الأنام من النقصِ

ولابنه أبى محمد عبد الحق بن أبى عبد الرحمن ، وهو لبنت القاضى أبى محمد عبد الحق بن غالب بن عطية المحاربى[1] ، وباسمه وكنيته سُمى وكُنى :

اختر مكانَ العز فاحللْهُ ولو عُوِّضتَ منه شقاوة بنعيم

هذا الحبيب وفيه أفضلُ أسوةٍ وهو المفدَّى عند كل كريم

لم يرضَ عضواً للمحب يحله غير الفؤاد وفيـــه نار جحيم

وله يمدح :

لما وجدتَ العالمين تقسموا قسمين : من حزبٍ ، ومن أعداء

قسَّمتَ عدلَك فيهمو قسمين قد شملاهمُ : من نعمة ، وشقاء

للأجر جاهدتم عِداةَ الدين لا أن العداةَ لكم من الأكفاء

وله من قصيدة :

---

(١) المراد أبو محمد عبد الحق بن محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن بن طاهر القيسى الذى يترجم له ابن الأبار فى هذه المادة .

ويفهم من هذه الفقرة أن أمه كانت بنت القاضى أبى محمد عبد الحق بن غالب بن عطية المحاربى .

هجرتَ من الدنيا لذيذَ نعيمها لأنك لا ترضاه إلا مخلَّدَا
وقضَّيتَ شهرَ الصومِ بالنيةِ التى رقيتَ بها فى رُتبةِ القُدس مُصْعِدَا
وودَّعَ عن شوقٍ إليك مبرِّح فلو كان ذا جفنٍ لبات مسهَّدَا

يقول فيها :

تفقَّدْ بحسن الرأى عبداً مؤمِّلا دعاه رجاء الفوز أن يتعبدا
وإن كان عُظْمُ الذنبِ صغَّر قدرَهُ فإن سليماناً تفقد هُدهُدَا

وهذا نحوُ ما أنشدَنا الأستاذُ أبو عبد الله محمد بن عبد الجبار بن محمد الرعينى بحضرة تونس حرسها الله ، قال : أنشدنا أبو البركات الواعظ المصرى المعروف بالزيزارى — وقد رأيت أنا أبا/ البركات هذا وسمعتُ وعظه بجامع بلنسية فى [١٥٥-ب] سنة ثمان وستمائة :

ومن عادة السادات أن يتفقدوا أصاغرَهم ، والمكرماتُ مصائدُ
سليمان فى ملك تفقد هدهداً وأصغر ما فى الطائرات المداهدُ

وكل ما عثرت عليه من منظوم عبد الحق هذا ومنثوره منصوص فى كتابى المترجَم بـ « إيماض البرق فى أدباء الشرق » .

١٤٧ — عبد الله بن خَيار الجيانى ، أبو محمد

عداده فى المتوثبين[1] ، وكان عاملا على مدينة فاس فى دولة الملثمين ثم استبد بها يسيراً فى قيامه عليهم بالدعوة المهدية ، وعلى يديه كان فتحُها ، والموحدون

(١) فى الهامش بخط مخالف : صح : من المتأدبين .

أعزهم الله إذ ذاك بمكناسة فأسرعوا الوصول إليها ، وأمّنوا أهلَها عند دخولها عصرَ يوم الأربعاء الرابع عشر من ذى قعدة سنة أربعين وخمسمائة ، وقيل عند الفجر منه[1] .

وذلك أن واليها يحيى بن أبى بكر بن على بن يوسف المعروف بابن الصحراوية أعرس تلك الليلة بامرأة من قومه فشغله ابنُ خِيار بكثرة ما أهدى إليه عن النظر لنفسه ، وقد واعدَ الموحدين تمكينَهم من البلد لما أمكنته الفرصة ، فدخلوا عند الفجر ، ولم يكن ليحيى محيص عن الفرار والنجاة بنفسه فيمن خفّ معه من أصحابه وانتهوا إلى طَنجة ، ثم أجازوا البحر منها إلى الأندلس .

---

(١) روى أبو بكر الصنهاجى المعروف بالبيدق هذه الحوادث بتفصيل (أخبار المهدى ابن تومرت ، ص ٩٨ — ٩٩) ، وقدسبق أن ذكر نفس المؤلف فى كلامه عن دخول ابن تومرت فاس فى صورة آمر بالمعروف ناه عن المنكر شيئاً عن الجيانى هذا ، فقال : « وكان مظفر يحكم فاس والجيانى مشرفهم بعدما كان مقدماً على الجيارين . وكان الجيانى له حظ عظيم ، حتى لم يكن فى زمرة الحشم أحظّ منه ، ليقضى الله أمراً كان مفعولا . فعند خروج الجيانى للقصر خرج المعصوم (يريد المهدى ابن تومرت) من فاس متوجهاً لبلاد السوس ، وغدا نحو مكناسة ، والله الموفق للصواب » (ص ٦٥) .

ويفهم من هذا أن حاكم فاس كان رجلا يسمى «مظفر » ، وقد ذهب ليڤى پروڤنسال فى تعليقه على الترجمة الفرنسية لهذه الفقرة (ص ١٠٢ من الترجمة ، تعليق ٢) أن مظفراً هذا كان من الصقالبة الذين خدموا المرابطين ، واعتمد فى ذلك على عبارة للمقرى (طبعة أوربا ، ج ٢ ص ٢١٩) يقول فيها « مظفر الخصى » . وأما لفظ « المشرف » فقد ترجمه پروڤنسال : **prévôt de la population** ، ولكن يفهم من عبارة للبيدق (ص١٠١) أن المشرف كان المسئول عن شئون المال .

ولم يشر البيدق إلى هذه الحيلة التى دبرها الجيانى على ابن الصحراوية . وفى ص ١٠١ نرى بوضوح كيف كان الجيانى هذا متآمراً مع الموحدين على أرباب نعمته المرابطين . وفى آخر ذلك الخبر يقول البيدق (ص ١٠٢) : « وقلع الخليفة رضه مع الموحدين أعزهم الله بأجمعهم إلى مكناسة ، وترك فى فاس أبا عبد الله محمد بن يحيى الكدميوى والجيانى الذى كان استفتاحها على يديه » .

وجلّت حالُ ابنِ خِيَار هذا بعدُ ، وكانت له من الدولة الالية مكانة سنية ، وهو القائل فى محاولته :

لنا فى جَناب الدين والخير آمالُ تكنّفها سعدٌ عتيدٌ وإقبالُ
نحوز بها فوزاً ونُحرز غِبطةً فعند الإمام العدل صفح وإفضال
وإنى لأرجو أن أفوز بليلةٍ فيُشرق عَسّالٌ ويشبع عسال

وفيه يقول أبو بكر يحيى بن سهل اليَكّى[1] عند تناهى حاله فى الحظوة والوجاهة :

أيا ابنَ خِيَارٍ بَلغتَ المدى وقد يُكسَفُ البدرُ عند التمام
/فأين الوزير أبو جعفرٍ[2] وأين المقرّبُ عبدُ السلام[3] [١٥٦-١]

(١) الأصل : اليَبكّى بالباء ، والصواب بالياء . وهو أديب شاعر مذكور فى شعراء الموحدين ، ترجم له الضبى فى « البغية » ، رقم ١٤٧٩ ص ٤٨٨ وقال إنه كان « خبيث الهجاء » ، وهو منسوب إلى يَكّة ، مدينة صغيرة إلى شمال مرسية تسمى Yecla . وأماقراءته « البكى » ونسبته إلى بلد يسمى بَكّة « وهى مدينة بنواحى طريف » فغير صحيحة ، إذ ليس هناك بلد يسمى بَكّة ، إنما الموجود لَكّه وهى الصورة العربية للفظ Lago (البحيرة) والمراد به البحيرة المعروفة بالخندق Lajanda شمالى مدينتى الجزيرة الخضراء وجزيرة طريف ، وعندها وقعت الموقعة بين طارق بن زياد ولذريق . انظر ذلك مفصلا فى كتابنا « فجر الأندلس » ، وانظر عن اليكى :

HENRI PÉRÈS, *La poésie à Fès sous les Almoravides et les Almohades.* Hespéris, tome XVIII. 1934.

وانظر : كتاب « زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر » لأبى بحر صفوان بن إدريس التجيبى المرسى ، بتحقيق عبد القادر محداد . بيروت ١٩٣٩ ، ص ٧٧ وتعليق ٢ .

(٢) المراد أبو جعفر بن عطية ، وقد سبق ذكره .

(٣) المراد عبد السلام الكومى الملقب بالمقرّب . مات مخنوقاً بأمر عبد المؤمن بن على سنة ٥٥٧ . راجع ترجمته فى المعجب لعبد الواحد المراكشى ، ص ١٩٨ .

يريد أبا جعفر أحمد بن جعفر بن عطية الوزير الكاتب ، و نُكب فى صفر من سنة ثلاث وخمسين وخمسمائه ، وفيه قُتل هو وأخوه أبو عَقيل عطية بمخارج مراكش ، ولأبى جعفر إذا ذاك ست و ثلاثون سنة ، مولده سنة سبع عشرة وخمسمائة ولأخيه ثلاث وعشرون سنة وأصلهما من قَمْرِلَة[1] قرية بطَرطُوشة من شرق الأندلس و نسبهُما فى قُضاعة .

ويريد بالمقرّب عبدَ السلام بن محمد الكومى وهو أخو بندة لأمها ، وتقلد الوزارة بعد أبى جعفر بن عطية ، وكان كثير الس[عاية] به شديد [الحسد له لايطيق الصبر] عليه ولا إمهاله[2] فيما وصل إليه . [فلما صارت إليه الوزارة] أدلّ بقربه وقرابته[3] ، واستبد بالأموال وكثر التظلمُ من عماله ، فسُجن بتلمسان.

---

(١) قَمْرِلَة فرضة صغيرة على البحر الأبيض جنوبى طركونة Tarragona تسمى اليوم Cambrila وهى جنوب رأس سالو Cabo Salou مباشرة ، وهى تابعة لمركز ريوس Reus فى مديرية طركونة ، وتبعد عن ريوس بمسافة ١٩ كيلومتراً ، وتبعد عن طركونة بعشرة كيلومترات إلى الجنوب . انظر :

LÉVI - PROVENÇAL, *Un Recueil de lettres officielles Almohades. Etude Diplomatique et Historique.* Hespéris XXVIII (1941), p. 5.

Diccionario Geográfico de Espana, tomo VI (1958), p. 115.

(٢) أكملت هذه العبارة بما يناسب المعنى بعد أن راجعت الفصل الطويل الذى كتبه ابن صاحب الصلاة عن نكبة عبد السلام الكومى فى الفصل الذى عنوانه : « ذكر مادار من الأوامر العلية فى هذه الغزوة المنصورة ، غزوة المهدية » فى كتاب « المن بالإمامة » ، مخطوط أكسفورد، نسخة مصورة ، ورقة ٢١ وما بعدها .

(٣) شرح ابن صاحب الصلاة قرابة عبد السلام الكومى من عبد المؤمن بن على (ص٢٥ من المخطوط) فقال إن والد عبد المؤمن كان قد تزوج والدة عبد السلام (الكومى) « فولدت له ابنة تسمى بَنْدَة ، فكان يرى لنفسه حقاً ، ولم يعلم أن الملك عقيم ، وأن مسراته هموم ، ومُر عقابه كلوم . وكانت تلك الأخت بندة قد زوجها أمير المؤمنين رضى الله عنه من الشيخ المرحوم أبى حفص ، فلم تحسن عشرته ، فطلقها برأى أمير المؤمنين حين أساءت الزوجية معه ، وهجر أمير المؤمنين بندة » .

عند الانصراف من غزوة المهدية فى سنة خمس وخمسين إلى أن سُم فى طعامه فهلك ، وقيل إنه قُتِل بالأرجل(١) .

[ومن بين](٢) ماقرأت فى بعض المعلقات أن عبد السلام هذا قصده جماعة من أهل سَلاَ فى وزارته فقعد عن بِرِّهم ولم يقض حاجتهم ، فكتب إليه أحدهم :

يا مَن يرى خيبةَ الراجين تَكرمةً ونيلَ ما أمّلوا عجزاً وتقصيرَا

مهلاً فإنك خامٌ فى يدىْ زمنٍ وقد أعدّ له كَمْداً وتقصيرَا(٣)

فقُتِل فى اليوم الثانى من دفع الرقعة إليه بالأرجل .

واتفق أيضا مثل هذا لأبى العلا إدريس بن أبى إسحاق بن جامع(٤) فى

---

(١) فصّل ابن صاحب الصلاة موت عبد السلام الكومى مسموماً (نفس الورقة من مخطوط صاحب الصلاة) وملخص ذلك أنه بعد أن اتهم عبد السلام الكومى بسوء التصرف فى أموال قابس بعد دخولها فى طاعة الموحدين عقب استيلائهم على المهدية ، تكاثر عليه أعداؤه ، وفيهم نفر من السادة (أمراء الموحدين) فأمر عبد المؤمن بسجنه عندما وصل تلمسان ، ثم مال إلى العفو عنه ، فاتصل أعداؤه بالسجان وتواطأوا معه ، فصنع له السجان « ثَرْدَة فى فروج » — أى ثريداً فى فروخ — فأكلها ومات منها . وليس هناك ذكر لموته قتيلا بالأرجل .

(٢) أضفت هذه الكلمات للسياق .

(٣) كذا فى الأصل . ومن المستبعد أن تكون قافيتان متواليتان بكلمة واحدة ، إلا إذا كان المراد بالثانية التقصير ضد التطويل . وربما كانت صحة الكلمة « تصهيراً » من الصهر وهو الإذابة ، وذلك بقرينة وصفه إياه فى المصراع الأول بأنه « خام » . والكَمْد هو تغير اللون .

(٤) بنو جامع أسرة من أهل الإدارة والوزارة خدمت الموحدين من أيام المهدى إلى أيام العادل الموحدى . وأصلهم القديم من الأندلس ، من مدينة طليطلة ، وأول من نسمع به منهم إبراهيم ابن جامع ، نشأ بضيعة تسمى رُوطَة Rota بساحل مدينة شريش على المحيط الأطلسى ، وهى غير روطة Rueda الثغر الأعلى ، « وبها مسجد مشهور بالفضل يزوره أهل الأندلس قاطبة كل =

وزارته : قصده بعض معارفه الناشئين معه فلم يرفع به رأسا ، فكتب إليه .

شُغلتَ بخدمة السلطان عنا ولم تدْر العدوّ من الصديقِ
رويدَك عن طريق أنت فيها فإن النائبات على الطريق

فنكب بعد ذلك بيوم ، وهذا من طريف موافقة الشعراء فى زجرهم للقضاء .

وكانت نكبة أبى العلا هذا فى سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة ، بعد أن

= سنة » كما يقول عبد الواحد المراكشى فى «المعجب» (ص ٣١٠) ، ثم يقول بعد ذلك ، « ثم انتقل إبراهيم هذا إلى بر العدوة ، وكان يحاول صنعة النحاس ، فتعرف بابن تومرت فكان من أصحابه ، فهو معدود فيهم » . وقد ذكر البيدق أبا إسحاق إبراهيم بن جامع بين « أهل دار الإمام المهدى» (ص ٢٩) . وظل إبراهيم بن جامع فى رعاية محمد بن تومرت وعبد المؤمن بن على ، حتى كان يعيش فى قصر هذا الأخير ، وفيه ولد ابنه إدريس الذى استوزره أبو يعقوب يوسف بن عبدالمؤمن ، وجمع ثروة طائلة وعاش فى قصر عظيم يطنب ابن فضل الله العمرى فى وصف سعته (الترجمة الفرنسية للجزء الخاص بالمغرب بقلم جودفروا ديموبين ، ص ١٨٨ و٢٦٢) . وكان لإدريس هذا أخ يسمى عبد الله بن إبراهيم بن جامع كان يتولى مدينة سبتة وجهاتها وقيادة الأسطول . وفى سنة ٥٧٣ غضب الخليفة أبو يعقوب يوسف على إدريس وأولاده ، فنفاهم إلى ماردة بغرب الأندلس حيث ظلوا ست سنوات حتى عفا عنهم الخليفة أبو يعقوب يوسف وهو فى طريقه إلى غزوة شنترين . أما عبد الله بن جامع فظل فى عمله ، وأنجب ولدا يسمى أبا سعيد عثمان ولاه الخليفة الناصر الموحدى طرابلس ، ثم ولاه الوزارة سنة ٦٠٥ . وقد اتسع سلطان أبى سعيد عثمان بن عبد الله بن جامع فى عهد المستنصر ، أبى يعقوب يوسف بن محمد الناصر ، خامس خلفاء الموحدين (٦٢٠–٦٢١) ، ووقع نزاع ومنافسة طويلة بينه وبين الوزير أبى زيد عبد الرحمن بن موسى بن وَجّان (أو يُوجّان) بن يحيى الهنتاتى . وعند موت المستنصر كان ابن وجان هذا من أكبر الساعين فى بيعة أبى محمد عبد الله بن أبى يعقوب المنصور الملقب بالعادل فى الأندلس منافساً لعمه عبد الواحد بن أبى يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بمراكش ، وهو المعروف بعبد الواحد المخلوع (الروض المعطار ، ص ٦٧ – ٦٨ ، مادة جنجالة) . وقد وقف أبو عثمان سعيد بن جامع إلى جانب عبد الواحد ، فلما انتصر العادل بتأييد أشياخ الموحدين له على عمه فى سنة ٦٢١ نُفى إلى ناحية من جبال الأطلس ، وحاول أخوه أبو إسحاق بن عبد الله بن إبراهيم بن جامع – وكان أمير البحر – منع العادل من العبور إلى المغرب ، وفشل فهرب ومات فى بلاد هسكورة . ولا نسمع بعد ذلك عن بنى جامع .

انظر ، بالإضافة إلى المراجع المذكورة آنفاً : ابن خلدون ، العبر ج ٦ – و :

AMBROSIO HUICI MIRANDA, *Historia politica del Imperio Almohade*. Tetuán, 1957. II, p. 448, y nota 1.

استكمل فى وزارته خمس عشرة / سنة وشهراً وعشرين يوماً . واعتُقل هو وابنهُ [١٥٦-ب] يحيى وأقاما مغرَّبين بجهة إشبيلية ستة أعوام وثلاثة أشهر وثمانية عشر يوماً إلى أن صفح عنهما وقت الانصراف من غزوة شنترين سنة ثمانين وخمسمائة[١] .

١٤٨ — أخيل بن إدريس الرُّندى الكاتب ، أبو القاسم

كتب فى أول أمره للملثمين ، ثم استكتبه أبو جعفر حَمْدِين بن محمد بن حَمْدِين فى إمارته [ورعى له][٢] صحبته إياه أيامَ قضائه ، فلما دخل ابنُ غانية قرطبة وأخرج ابنَ حَمْدِين ، لحق أخيل برُنْدَة[٣] بلدِه واستبد بضبطها مُدَيدة ،

---

(١) جاء فى الجزء الرابع من البيان المغرب (طبعة أمبروزيو أويثى ميراندا وآخرين ، تطوان ١٩٥٦) فى سياق الكلام عن مسير أبى يعقوب يوسف بن عبد المؤمن على غرب الأندلس ، وعند الوصول إلى بطليوس (ص٦٢) : « وكان إدريس بن جامع مغرباً مع بنيه بماردة وحَيُّون الكومى كذلك ببطليوس ، فرغبوا من الخليفة أن يأذن لهم فى حضور هذه الغزوة ، فأذن لهم فى الحين ، ومشوا فى جملة المجاهدين » .

(٢) أضفت هاتين الكلمتين للسياق .

(٣) رُنْدَة : فى التقسيم الإدارى الأندلسى كانت رندة مدينة تابعة لإقليم تاكُرُنّا فى كورة استجة (صفة الأندلس للرازى ، ص ٩٩) ، وقد أسقط اسمها صاحب التعليق المنتق من فرحة الأنفس (انظر : كورة استجة ، ص ٢٦) . وقد ذكرها ياقوت (٤/٢٩٣) وأبو الفدا (تقويم البلدان ، طبعة أوربا) ص ١٦٦ ، وابن بطوطة (طبعة ديفريمرى وسانجينيتى) ج ٤ ص ٣٦٣ ، وابن عبد المنعم الحميرى فى الروض المعطار ، رقم ٧٩ ص ٧٩ ، وأشادوا جميعاً بحصانتها .

واسمها معرب Aruнda وهو اسمها أيام الرومان والقوط ، وهى قائمة على حافة خانق فى جبل يسميه صاحب الروض المعطار : طَلَّوبَرّ وهو المعروف بجبال رندة Serranía de Ronda. وتحت البلد يوجد الخانق المسمى باسم النتاجه el Tajo عمقه ١٦٠ متراً ، يجرى فيه نهر وادى اللَّبَن Ouadalevín الذى يتصل بعد ذلك بوادى آرُه Ouadairo . ورندة مشهورة فى التاريخ الأندلسى لأن جبالها كانت مركز ثورة عمر بن حفصون ، فعلى مقربة منها تقع قلعة بُبَشْتَرُ Bobastro بين قمم جبال رنده . ثم كان لها شأن فى عصر الطوائف الأول ، ثم صارت جزءاً من مملكة —

فسده أهلُها وداخلوا أبا الغَمْر بن السائب بن غَرُّون فى التمكين منها — وهو يومئذ قائم بدعوة ابن حَمْدِين فى شريش وأَرْكُش[1] — فتم ذلك . واستولى أبو الغَمْر على قصبة رُنْدَة الشهيرة المنعة دون قتال ولانزال ، لركون أخيل إليه وثقته به ، فنجا بنفسه وما كاد . ونهب أبو الغَمْر ديار أصحابه ، وخلع طاعة ابن حَمْدِين ، ودانت له المعاقل المتصلة به ، فأمِن أمرَه . وقيل : بل سَجن أخيل ثم سرّحه ، فكان عند أبى الحكم بن حَشُّون بمالقة ، ومنها توجه إلى مراكش فأوطنها ، واتصل بأبى جعفر بن عطية الوزير ، وعلى يديه أعيد ماله . ولم يزل هنالك مكرماً ، وفى طبقته مقدماً ، إلى أن وَلى قضاء قرطبة ، ثم قضاء إشبيلية . وكان سمحاً ، جواداً ، بليغاً ، مدركاً .

وحُكى لى أنه لما أراد الانفصال من مراكش لقى أبا جعفر بن عطية فأنشده :

يا من يَعز علينا أن نفارقهمْ وِجدانُنا كلَّ شىء بعدكم عدمٌ

=غرناطة . وقد سقطت فى أيدى فرناندو وإيزابيلا بعد حصار ٢٠ يوماً فى ٤ جمادى الأولى سنة ٨٦٠/٢٠ مايو ١٤٨٥ . وهى اليوم تابعة لمديرية مالقة (انظر المادة الخاصة بها فى دائرة المعارف الإسلامية ج ٣ ص ١٢٤٥ - ١٢٤٦) .

أما تاكُرُنّا فمنطقة جبلية هى التى تسمى اليوم باسم جبال رندة . ولفظ تاكرنا بربرى يوجد فى نواح كثيرة من المغرب فى صور مختلفة بعض الشىء ، أشهرها تَكْرُونة فى تونس . انظر :

W. MARÇAIS ET ABDURRAHMAN GUIGA : *Textes arabes de Takroûna*. I, Paris, 1925. VIII, n. *1*.

وقد حاول دوزى أن يفسر الاسم بقوله إنه مكون من اسم الإشارة البربرى «تا» واللفظ اللاتينى «كورونا» ، ولكن أحداً لم يقبل هذا الاشتقاق . وقد ذكرها ابن عبد المنعم الحميرى (رقم ٦٣ ص ٦٢) وقال إنها « مدينة أزلية تنسب إليها الكورة » ، ثم عاد فصحح نفسه وقال إنها إقليم من أقاليم استجة قاعدته رندة — وهذا هو الصحيح .

(١) أَرْكُشْ : تسمى اليوم **Arcos de la Frontera** ، وكانت فى التقسيم الإدارى الأندلسى تابعة لكورة شريش شذونة . وهى اليوم من مدن مديرية قادس على خمسين كيلومتراً شمال شرقى القاعدة قادس .

فأجابه أخيل :

إذا ترحَّلتَ عن قومٍ وقد قدروا ألا تفارقَهم ، فالراحلون هُمُ

وتوفى بإشبيلية سنة ستين — أو إحدى وستين — وخمسمائة . ومن شعره يراجع بعض الأدباء :

وفاؤكَ قد رضيتُ به حبيباً ورأيُك قد قنعتُ به نصيبَا
وودُّك لا أريد به بديلاً وبرُّك لا أقوم به مُثيبا
/ مكارمُ منك قد عَبَّتْ عُباباً على العافين وانهالت كثيبا [١٥٧-١]
وطبعُك لو نفحت به هشيماً لعاد الروض مطلولا خصيبا(١)
وعهدُك كالشباب وليس مما يكون مآلُ نُضرته المشيبا
وذاك الثَّمر أم سحرٌ حلالٌ فتنتَ به المُساكتَ والمجيبا

وله أيضاً :

إليكَ أخذتُ حبالَ الذِّمام وفيكَ تعلمتُ نظمَ الكلامْ
فأرسلته جائلا كالرماح(٢) وصُلْتَ به ثائراً كالحسامْ
وما كنتُ منه ولكنها أيادٍ تفجَّر صُمَّ السِّلامْ
[تروم الإ] صارةَ فى كل [يوم فنلتَ] الإصابة من كل رامْ(٣)

---

(١) ورد هذان اللفظان فى الهامش بخط مخالف .

(٢) الأصل : حائراً كالوراح ، ولا معنى له .

(٣) أضفت ما بين الحواصر للسياق والوزن . وقد ورد لفظ الإصارة هكذا : صاره . وقد أخذت لفظ الإصارة من الصِّيِّر وهو القبر (اللسان : ٦/١٤٨) ، وراعيت فى هذا التوازن بين الإصارة والإصابة الواردة فى الشطر الثانى . والمعنى بعد هذا الإكمال : أنك تروم الموت كل يوم فى ساحات القتال ولكنك تنتصر وتصيب كل رام .

وتثنى الغصون على هزة كأن بها سكرات المدام
وكلٌّ تهنَّأ[1] إقباله ولا كإياب الأمير الهُمامْ
فتى المكرُمات تصدَّى لها بحُكم الكهول وسِنِّ الغلام
[فأغنى][2] لشرمضت من سنيه[3] [وأبلغ][4] فى النائبات المقام
وساق إلى المسلمين التى أنارت لهم فى اعتكار الظلام
وشوَّق أضعافَ ما اشتاقه ولولا التصبر كان الغرام
وقاسى ليتدِّع المسلمون [وأنكى ليهلك][5] أهل اللئام
ونافر منهم أفاعى الرجا ل تبعث من ضغنها بالسّمام
وجاراهمُ طلقَ المكرمات فكان على الرغم منهم إمام
وأعشاهمُ فى سماء العلا بنور هلالٍ كبدر التمام

ووجدتُ منسوباً إليه — والصحيح أن ذلك لأبى جعفر عبد الله بن محمد ابن جُرْج القرطبى[6] ، وهو عندى بالإسناد إليه :

[١٥٧ب] / أما ذُكاه فلم تصفرّ إذ جنحتْ إلا لفُرقة ذاك المنظر الحسنِ
رُبَّى تروق وقِيعانٌ مزخرفةٌ وسائحٌ مَدَّ بالمطّالة الهُتُنِ
وللنسيم على أرجائه حَبَبٌ يكاد من رقةٍ يُجلى على الغصنِ

---

(١) الأصل : تَهَنَّى .
(٢) أضفتها للسياق والوزن .
(٣) الأصل : سنّه ، ولا يستقيم به الوزن .
(٤) أضفتها للسياق والوزن.
(٥) أضفت هذه الكلمات للسياق والوزن .
(٦) عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن أبى المطرف عبد الرحمن بن سعيد ابن جُرْج ، من أهل قرطبة ، يكنى أبا محمد (فى النص يقول إنه أبو جعفر) . سمع من عدد من الشيوخ منهم أبو القاسم بن بشكوال ، وأجاز له ما رواه وألفه . توفى يوم الجمعة ٨ شعبان ٦١٤ ، ودفن بمقبرة أم سلمة ومولده سنة ٥٣٥ . فهو على هذا من معاصرى ابن الأبار . انظر : التكملة ، رقم ١٤٣٨ ج ١/٥١٠ .

١٤٩ — أحمد بن يوسف بن هود الُجذامى ، أبو جعفر

هو أحمد بن حسام الدولة أبى عامر يوسف بن عضد الدولة أبى أيوب سليمان ابن المؤتمن أبى عامر ، ويقال فى كنيته : أبو عمر يوسف بن المقتدر بالله أبى جعفر أحمد بن المستعين بالله أبى أيوب سليمان بن محمد بن هُود الجُذامى[1] .

---

(١) على هذا يكون أبو جعفر هذا إما من أولاد أحمد المقتدر بن سليمان بن محمد بن هود أو من أولاد أخيه يوسف حسام الدولة الملقب بالمظفر بن سليمان بن محمد بن هود ، والقول الثانى أصح ، فهؤلاء أصحاب لاردة ، وإليك شجرة النسب تبين هذين القولين :

أبو أيوب سليمان بن محمد بن هود (٤٣٨ — ٤٤١)
كان من كبار وجوه الجند بالثغر الأعلى ، وعند قيام الفتنة استولى على لاردة سنة ٤٣١ ، ثم دخل سرقسطة وأصبح صاحب الثغر الأعلى كله سنة ٤٣٨ ،
وعند موته فرق بلاد الثغر الأعلى على أولاده الخمسة كما يلى :

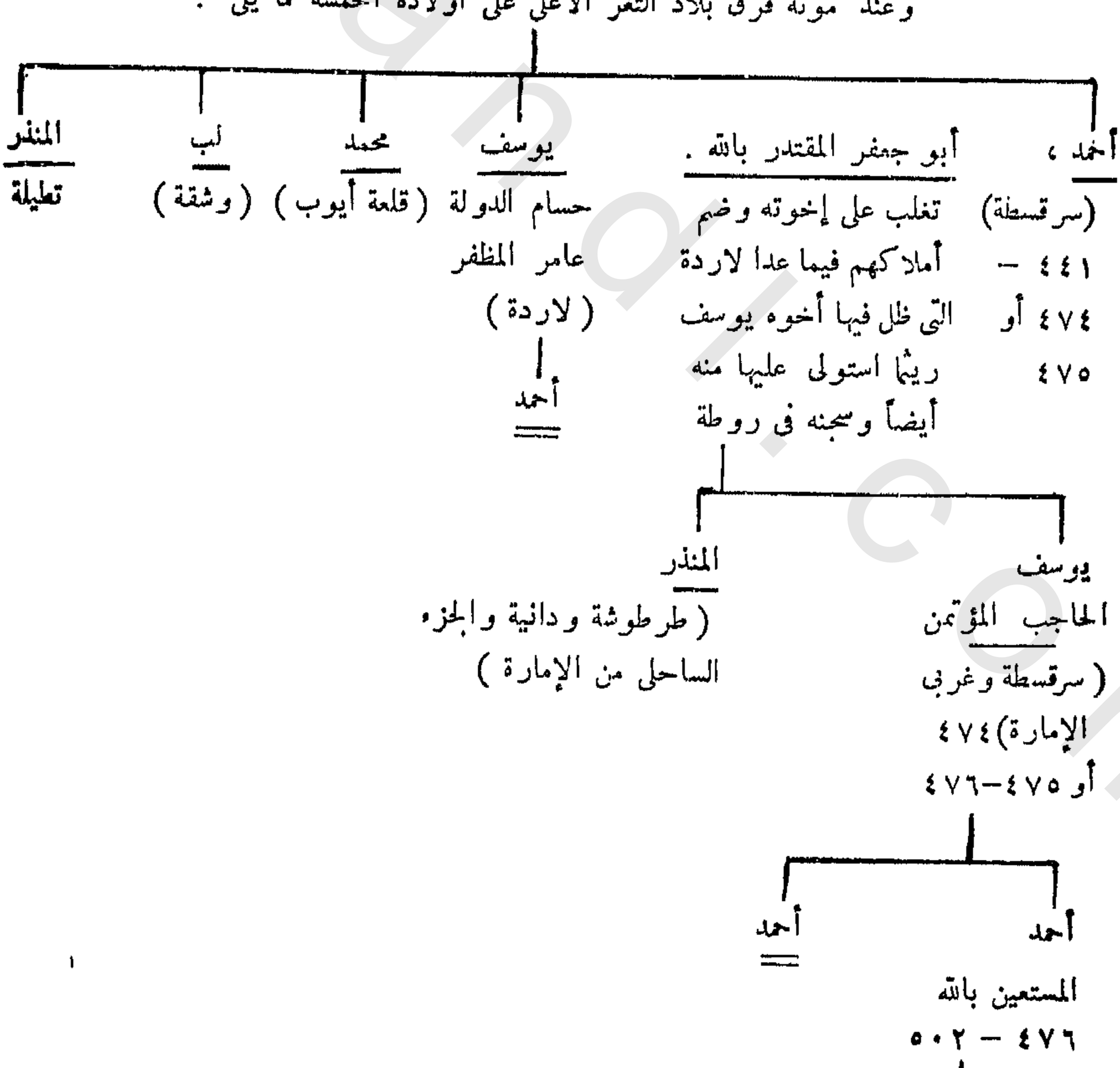

وكان آباؤه وأهل بيته أمراء سَرقسطة والثغر الشرقى ، غلبت عليهم دون ملوك الطوائف الشجاعة والشهامة ، وقبضوا أيديَهم فقلّت أمداحهم ، وترك الشعراء انتجاعهم ، إلا فى النِدِرِّ والنادر ، على سعة مملكتهم ووفور جبايتهم .

وأول ملوكهم أبو أيوب سليمان بن محمد ، المتلقِّب من الألقاب السلطانية بالمستعين بالله صاحب لاردة ، وصار إليه مُلك سَرقسْطة وما معها ، بعد مقتل منذر بن يحيى بن منذر بن يحيى التجيبى الأخير : فتك به ابنُ عم له يسمى عبد الله بن حَكم ، وحز رأسه وسط قصره ، وذلك غرةَ ذى الحجة سنة ثلاثين وأربعمائة[1] ، ودعا لابن هُود أولَ أمره ، ثم ثار به أهل سَرقسْطة ، فلحق بحصن رُوطة اليهود[2] — أحد معاقلها المنيعة ، وقد كان أعده لنفسه — ونجا بفاخر ما اشتمل عليه من ذخائر آل مُنْذِر . ونهب العوام قصر سَرقسْطة إثرَ خروجه ، حتى قلعوا مَرْمَره

= محمد بن الحاج سنة ٥٠٣/١١٠٩ وضمها لدولة المرابطين .

راجع بحثنا عن « سرقسطة والثغر الأعلى فى عصر المرابطين » . مجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة. مجلد ١١ ، ج ٢ ، ديسمبر ١٩٤٩ .

وقد قلنا هناك إن المنذر خامس أولاد سليمان بن هود هو نفسه لب ، وأن أولاد سليمان على هذا أربعة ، ولكن ما أثبتناه فى الجدول هنا أصح .

(١) سبق تفصيل هذه الحوادث والتعليق عليها .

(٢) رُوطَة : فى التقسيم الإدارى الأندلسى كانت تابعة لمدينة (أى للكورة الثغرية) سرقسطة (انظر صفة الأندلس للرازى ، ص ٧٨) ، وهى غير روطة شريش التى ذكرناها . والمراد هنا **Rueda de Jalón** أى روطة نهر الخالون ، وهوشلون أحد نهيرات نهر إبره ، وهى اليوم تابعة لمديرية وشقة **Huesca** . وهناك مواضع أخرى تسمى **Rueda** فى هذه الناحية (انظر : مادوث ، ج ١٥ ، ص ٥٩٠ — ٥٩١ . وقد سقطت روطة هذه فى يد ألفونسو المحارب ملك أرغون عندما سقطت سرقسطة سنة ٥١٢/١١١٨) .

وطمسوا أثره ، لولا تعجيل سليمان بن هُود ، فملَك البلد فى المحرم سنة إحدى وثلاثين ، وأورثه بنيه حين توفى سنة ثمان وثلاثين[1] .

وحظى بولايته — دون إخوته — ابنهُ أبو جعفر أحمد الملقب بالمقتدر ، وكان أقواهم سلطاناً . وهو الذى استرجع مدينة بَرْبَشْتَرْ[2] وافتتحها على النصارى

---

(١) انظر الجدول السابق فى تعليقنا على سليمان بن هود . وانظر أيضاً : ابن الخطيب ، أعمال الأعلام (بيروت ١٩٥٦) ص ١٧٠ — ١٧١ . وابن عذارى ، البيان المغرب ، ج ٣ ص ٢٢٠ — ٢٢١ .

(٢) مأساة بَرْبَشْتَرْ **Barbastro** من أشنع ما أصاب المسلمين فى الثغر الأعلى خلال فترة الطوائف ، وقد روى خبرها ابن حيان وأورده ابن بسام فى القسم الثالث من الذخيرة فى سياق كلامه عن بنى هود ، وأورده المقرى فى نفح الطيب مع تحريف كثير (طبعة أوروبا ، ج ٢ ص ٧٤٩) ، وابن عذارى فى الجزء الثالث من البيان المغرب (ص ٢٢٥ — ٢٢٨) ، ودرسها دوزى دراسة وافية فى الجزء الثانى من أبحاثه ، فى بحثه الطويل عن غزوات النورمان فى إسبانيا **Les Normands en Espagne** (ص ٢٥٠ وما يليها) والجزء الخاص بكائنة بربشتر فى ص ٣٣٢ وما يليها .

وخلاصتها أن نفراً من النورمان الذين سمح لهم شارل الأبله **Charles le Simple** ملك فرنسا بالإقامة فى الإقليم الذى عرف باسمهم من فرنسا بعد ذلك **Normandie** قاموا بنشاط واسع فى الغزو والنهب والسلب فى شتى نواحى أوروبا (ومنهم تفرع النورمان الذين فتحوا انجلترا سنة ١٠٦٦ بقيادة وليم الفاتح) . وقد غزا بعضهم إيطاليا واتصل بالبابوية ، وهناك نصحهم الناس بالاتجاه لحرب المسلمين فى الأندلس ، فسارت حملة قوية منهم من جنوب فرنسا يقودها رجل يسمى **Robert Crespin** وانضم إليهم نفر من الفرنسيين والإيطاليين وفاجأوا مدينة بربشتر واستولوا عليها بعد حصار أربعة أيام ثم نهبوها نهباً ذريعاً وقتلوا من أهلها ألوفاً وأسروا ألوفاً أخرى ، وكان ذلك فى جمادى الأولى ٤٥٦ .

وعندما انتشر خبر هذه الكائنة ريع المسلمون فى الأندلس كله ، ونهض أحمد بن سليمان ابن هود الملقب بالمقتدر ونادى المسلمين لتخليص بربشتر ، فتم لهم ذلك فى رمضان من السنة التالية . وعلى شناعة هذه الغزوة وما وقع فيها من القتل والسلب والنهب ، وجد باحث فرنسى أنها موضع للفخر ، وأراد أن يرد هذا الفخر إلى الفرنسيين . انظر :

P. BOISSONNADE, *La Croisade de Barbastro.*

وبربشتر مدينة ومركز إدارى فى مديرية وشقة ، تقع على نهر **Cinca** أحد نهيرات الإبره النابعة من جبال **البُرت** ، وتقع على ٦٠ كيلو متراً شمال شرق سرقسطة .

عنوة ، وخلع إقبالَ الدولة علىّ بن مجاهد من دانية ، وسيَّره إلى سرقسطة دار
[١٥٨-ا] مُلكه ، وهنالك هلك سنة / أربع وسبعين[1] ، وفيها توفى المقتدر .

ووَلى بعدَه ابنُه أبو عامر يوسف بن أحمد الملقب بالمؤتَمَن ، فلم تطل مدته وتوفى سنة ثمان وسبعين .

ووَلى بعده ابنُه أبو جعفر أحمد الملقب بالمستعين بالله ، واستُشهد على مقربة من تُطِيلَة يومَ الاثنين أول رجب من سنة ثلاث وخمسمائة[2] .

ووَلى بعده ابنُه الحاجبُ عمادُ الدولة أبو مروان عبد الملك بن أحمد ، وشرط عليه أهل سرقسطة ألا يستخدم الرومَ ولا يلابسهم ، فنقض بعد أيام يسيرة ذلك — لما استشعر من ميل الناس إلى الملثمين — وأقام بحصن رُوطة . واستدعى أهلُ سرقسطة محمدَ بن الحاج اللمتونى والى بلنسية ، فوافاهم صبيحة يوم السبت العاشر من ذى قعدة سنة ثلاث وخمسمائة ، فأمكنوه من البلد ؛ وجرت قصص طويلة أفضت إلى تغلب الروم على سرقسطة فى يوم الأربعاء الرابع من شهر رمضان سنة اثنتى عشرة .

وقد كان عبد الملك هذا وجَّهه أبوه المستعين أحمد بن يوسف المؤتَمَن إلى يوسف بن تاشفين فى سنة ست وتسعين وأربعمائة بهدية سنية ، من جملتها أربعة عشر رُبعًا من آنية الفضة ، مطرزة باسم جدِّه المقتدر والدِ جدِّه المؤتَمَن ، فقبلها

---

(١) ذكر ذلك بتفصيل ابن عذارى فى البيان المغرب ، ج ٣/٢٢٨ — ٢٢٩ .
وانظر : كليليا سارْنِلِّى تْشِرْكُوَا : مجاهد العامرى ، قائد الأسطول العربى فى غرب البحر المتوسط (القاهرة ١٩٦١) ص ٢٦٨ — ٢٦٩ ، والمراجع المعطاة هناك .

(٢) استشهد فى وقعة ڤالتيرا Valtierra (أول رجب ٥٠٣/٢٤ يناير ١١١٠) وكانت مع ألفونسو الأول ملك أرغون المعروف بالمحارب . انظر بحثنا عن سرقسطة والثغر الأعلى ، ص ١٠٦ ، و :

ANTONIO BALLESTEROS, *op. cit.* II, 453.

ابنُ تاشفين وأمر بضربها قراريط ، فُرقت ليلةَ عيد النحر فى أطباق على رؤساء قومه وهو إذ ذاك بقرطبة وقد أشار إلى بيعة ابنه على بن يوسف بالعهد فخضر عبدُ الملك ذلك .

ولما توفى برُوطة فى شعبان سنة أربع وعشرين وخمسمائة ، وَلىَ بعدَه ابنهُ أبو جعفر أحمد بن عبد الملك سيف الدولة المستنصر بالله — ويلقب أيضاً بالمستعين بالله ، وهو آخر بنى هُود مُلكاً — فأقام برُوطة إلى أن تخلى عنها الطاغية أذفونش بن رَمُنْد المعروف بالسُّلَيطين[1] ، وعوضه منها بنصف مدينة

---

(١) عبارة ابن الأبار هذه بالغة الدقة ، وهى تبين لنا مَن المراد بلفظ السليطين ، ولماذا لقب بذلك . فأذفونش بن رمند هذا هو Alfonso Raimundez وأمه هى أُراكه Urraca ابنة ألفونسو السادس الذى استولى على طليطلة ، الذى يقول فى حقه ابن وَقّار (الذى أخذ ابن الخطيب عنه أخبار ملوك النصارى) : «وهذا الفُنْش المعمَّر هو الذى طغى واستحوذ على ملوك المسلمين ، وحزّب بين ملوك الطوائف إلى أن قمعه الله بلمتونة ، وهزمه هزيمة الزلاقة على يد يوسف بن تاشفين» . وكان ألفونسو السادس هذا قد فقد ابنه الوحيد شانْجُه Sancho فى موقعة أقْليش على يد المرابطين سنة ٥٠٢ / ١١٠٨ . وكانت ابنته أراكة قد تزوجت من رامن دى بورجونيا Raman de Borgona وأصله بورجونى من Bourgogne فى فرنسا ، فأنجبت أذفش بن رمند Alfonso Raimundez الذى ذكرناه . ثم مات هذا . وبعد موت ألفونسو السادس (١ يوليو ١١٠٩) سعى النبلاء حتى زوجوا أراكة هذه من ألفونسو الأول ملك أرغون المعروف بالمحارب ، حتى تتحد أرغون وقشتالة ، وقد تم هذا الزواج فى سبتمبر سنة ١١٠٩ وأصبح ألفونسو الأول بالفعل ملك أرغون وقشتالة .

وقد أهملت بهذا الزواج حقوق Alfonso Raimundez ابن أراكة وولى عهدها الشرعى ووريث ألفونسو السادس الشرعى ، فقام أنصاره يطالبون بحقه ، وثار النزاع بين حزب ألفونسو الأول المحارب الأرغونى وأنصار هذا الأمير المعارضين فى أن يكون الملك الأرغونى ملكاً على قشتالة ، وكان على رأس أولئك المعارضين الأسقف برناردو أسقف طليطلة ، وكان فرنسياً من رهبان دير كلونى ، فازال يسعى لدى البابا بسكال الثانى حتى ألغى زواج ألفونسو الأول المحارب من أراكة . ولم يكن زواجاً سعيداً على أى حال ، فقد كان الشقاق مستمراً بين ألفونسو وأراكة . وتم الانفصال بينهما سنة ١١١٤ ، وتم الاتفاق على أن يكون ألفونسو المحارب ملكاً على أرغون وقشتالة ، وتكون أراكة ملكة على ليون وجليقية وذلك بعد حروب=

طُلَيْطِلَة[1] ، وذلك فى شهر ذى قعدة سنة أربع وثلاثين ، وسار معه فأنزله بها .

وفى سنة تسع وثلاثين أخذت دولةُ الملثمين فى الانتقاض والانقراض ،

=طويلة . وعندما ماتت أراكة خلفها ابنها **Alfonso Raimundez** باسم ألفونسو السابع ، وقد سماه أهل الأندلس بالسليطين لأنه ولى عرش قشتالة صغير السن إذ كان تحت وصاية أمه أراكة ، وهو لقب يقابل التسمية اللاتينية التى كانت الحوليات المسيحية تطلقها عليه ، وهى **Rex Parvus** (أى الملك الصغير) . وعلى أى حال فقد بدأت بملكه دولة جديدة فى تاريخ ليون وجليقية ، هى الدولة البرغونية **La Casa de Borgona**

انظر :

PEDRO AGUADO BLEYE, *Manual de Historia de Espana*,II, (Madrid, 1947), p. 617 sqq.

ابن الخطيب : ذكر التعريف بما أمكن من ملوك الأندلس على الاختصار ، ذيل على كتاب أعمال الأعلام ، ص ٣٢٢ وما بعدها .

IBN, IDĀRI : ***al - Bayān al - Mugrib*, nuevos fragmentos almorávides y almohades, traducidos y anotados por A. Huici Miranda, ed. Valencia, 1963, p. 201.**

(١) سبق أن بينا خطأ هذا القول ، وأن الحقيقة هى أن ألفونسو السابع (وهو ألفونسو ابن رمند المعروف بالسليطين المذكور فى الهامش السابق) عندما استولى على روطة وادى خالون **Rueda de Jalón** من عماد الدولة عبد الملك بن أحمد المستعين بالله بن هود فى سنة ٥٢٥ أو ١١٣١/٥٢٦ جعله تابعاً من أتباعه وأعطاه إقطاعاً بناحية طليطلة . وأصبح عماد الدولة هذا من رجاله يخرج معه فى غزواته ، شأنه فى ذلك شأن سائر أفصاله (جمع فَصَل وهو التابع الإقطاعى) الآخرين . وعندما توفى عماد الدولة عبد الملك بن هود خلفه ابنه أحمد بن عماد الدولة —الذى تلقب بسيف الدولة— فى إقطاعه ومركزه . وقد اشترك مع ألفونسو السابع فى حملته الكبيرة على الأندلس ، وهى التى وصل فيها إلى الجزيرة الخضراء وعاث فى بلاد الإسلام عيثاً شديداً (٥٢٨ — ٥٣٠/١١٣٣ — ١١٣٥) . وعندما وقع الانفصال بين ألفونسو المحارب وزوجته أراكة (راجع التعليق السابق) وانفصلت أرغون وقشتالة عن ليون وجليقية أصبحت روطة هذه من بلاد مملكة ليون وجليقية وملكتها أراكة حتى سنة ١١٢٦ ثم ابنها ألفونسو رايموندث المعروف بألفونسو السابع (السليطين) فاستنزل حسام الدولة أحمد بن عماد الدولة بن هود من روطة وعوضه بإقطاع فى ناحية طليطلة . ويبدو أن تأريخ ابن الأبار لهذا الحادث بذى قعدة ٥٣٤ (يونيو ١١٣٩) ليس دقيقاً ، لأننا نجد اسم سيف الدولة أحمد هذا بين أتباع ألفونسو السابع فى حملته على الأندلس سنة ١١٣٣ — ١١٣٥ (٥٢٨ — ٥٣٠) ، والأصح أن يكون ذلك قد حدث فى ذى قعدة سنة ٥٢٤/أكتوبر ١١٢٩ .

انظر : CODERA, *Almorávides*, p. 71 sqq.

وابن القطان : نظم الجمان (بتحقيق الدكتور محمود مكى) ص ٢٠٠ .

فخرج سيفُ الدولة هذا ثائراً بالثغور الجَوْفِيَّة ، ومنها ورد على قرطبة ، فدخلها بمداخلة أهلها إياه ، وممالأة ملإها على ذلك[1] . وانزعج ابنُ حَمْدِين أمامه ، فلحق بالمعقل المعروف بفُرَنْجُولِش ، /ثم خرج منها بعد اثنى عشر يوماً ، ناجياً [١٥٨-ب] بنفسه ، وقد ثارت به العامةُ وقتلت وزيرَه ابنَ شَمّاخ وطائفةً من أصحابه .

فقصد جَيّان وقد ثار بها قاضيها ابنُ جُزَيّ ، فتغلب عليه وملَكها . ثم سار إلى غرناطة فملَكها ، واضطربت عليه بها الأمور فأسلمها . وعاد إلى جَيّان ، فداخَله أهلُ مرسية واستدعوه ، فورد عليهم ودخلها يوم الجمعة الثامن عشر من رجب سنة أربعين . ولم يستكمل فى جميعها حولا واحداً .

وقد كان ابنُ عِيَاض تأمَّر بمرسية ودعا لابن هود هذا ، فوجَّه إليه ابنَه أبا بكر ، فبرز للقائه وأظهر الاحتفاء بمقدمه ، وسار به إلى بلنسية حين أمَّره أهلُها وخلعوا مروانَ بنَ عبد العزيز قاضيها ، ثم ولاه دانيةَ . وبلغ ابنَ عِيَاض ورودُ ابنِ هودٍ وحلولُه بقصر مرسية ، فعجل به اللحاق ، وقدم يوم الأحد المُوَفِّى عشرين من رجب ، مظهراً طاعتَه وممتثلا أمرَه . ونزل القصرَ الصغير ، فألقى إليه ابنُ هود بالأمور كلها ، وخصه باسم الرئاسة . وبعد ليالٍ قلائل توجها جميعاً إلى شاطبة ، وقد سبقهما إليها عبدُ الله بن سعد بعسكر بلنسية فى اتِّباع الروم المغيرين على نواحيها أصحابِ الطاغية أذفونش ، فاستُشهد ابنُ هود وابن سعد لما التقى الجمعان ، ونجا ابنُ عِيَاض . وكانت هذه الوقيعة الكبرى على المسلمين بالموضع المعروف

---

(١) أورد كوديرا (*Almorávides*, 76-77) قطعة عظيمة الأهمية هنا من :

Crônica del Emperador D. Alfonso, ***Espagna Sagrada***, XXI p.330 sqq.

فيها تفصيل تشاور الأندلسيين ومادعا إليه بعضهم من القيام على المرابطين والدخول فى طاعة ألفونسو السابع فى مقابل جزية يدفعونها له .

باللُّجِّ وبالبَسِيط — على مقربة من جنجالة — يوم الجمعة الموَفِّى عشرين لشعبان من سنة أربعين ، وقيل يوم السبت بعده .

وأبو جعفر بن حسام الدولة هو القائل يمدح من قصيدة :

علوتَ ، فما تسمو لمقدارك الشُّهْبُ وقد قصَّرتْ فى ما تسطِّره الكُتْبُ
وأنت إذا وجهتَ جيشَك رائداً تقدَّمه من بعض أنصارك الرعبُ
أقمت لنا الدينَ الحنيفىَّ ماثلا كأنّا نرى المهدىَّ ما ضمَّه التُّربُ
إذا خَلُصَتْ نفسُ الولىِّ لربِّه فغير عجيبٍ أن يوفِّقَه الربُّ

وله :

يا باكياً عُمرَ الطلول بدمعِه أسفاً على ذاك الدم المطلولِ
[١٥٩-ا] / أودتْ بلبِّكَ لوعةٌ صَدِيتْ لها صفَحاتُ ذاك الخاطرِ المصقولِ

وله :

ليت شعرى — ونحن بالمغرب الأقـ ـصى — متى تُزجَر الفَلاةُ الأمُونُ ؟
بفلاةٍ ترى الرياحَ بها الهُـ ـوجَ عَرَتْهنَّ فترةٌ وسكونُ
وتلوح البروق مثلَ سيوف الـ ـهند فيها أجفانهن الجفونُ
والسراب الرقراق فى صفحة البيـ ـداء يغشى الهضابَ ماء معينُ
تتبدّى لك الظعائن فيهـ ـ(م)نَّ فقل أينقٌ بها أو سفينُ
خطرت خطرة الغرام على القلـ ـب وحسب الفتى لها يستكينُ
أذكرَتنى بلجاء وُرقٌ تجاوبـ ـن بنجدٍ حديثُهن شجونُ
أطربتْنى أصواتُهن على الأيـ ـكة ، قد يُطرب الحزينَ الحزينُ

ومنها :

يامَةَ القومِ والمنى يطمع المر ء إذا ما اســـتقل يوماً قطينُ
إن تـكوني قد استقر بك الرَّبْـ ـعُ فقلبي مع الرفاق رهين
أو تـكوني سلوتِ عنا فلا والـ(م)ـله لم تسلُكِ الظباء العِين
أين للشمس أن تنال مُحيّا كِ وتعزَى لمعطفيك الغصون
غُرٌّ لُحْنَ من دجى الشَّعرِ بيضٌ ما تجلَّت عن مثلِهن الدُّجُون

١٥٠ — أحمد بن قام[1] الـكاتب ، أبو العباس

دار سلفه بَيّاسَة[2] ، وكانت لهم بها فى الفتنة رئاسة . وذكر أبو عمرو بن

---

(١) كذا ورد الاسم فى الأصل بالقاف ، ولم أجد مثل هذا الاسم فى معاجم التراجم ، وإنما ورد « نام » بالنون مرتين فى تكملة ابن الأبار (رقم ١٢٠٦ و١٢٠٧ ج ٢ / ٤٢١) ولا أظن أن لأحدهما علاقة بأحمد بن قام هذا . فإن هذا من بياسة فى حين أن الاثنين الآخرين من سرقسطة ولبلة واسماهما مختلفان عن اسم المترجم له هنا . ولا شك أن المذكورين عند ابن الأبار يترآن بالنون ، لأنه ذكرهما فى حرف النون ، ويحتمل أن يكون اسم المترجم له هنا أحمد بن نام بالنون .

(٢) بياسة Baeza : فى التقسيم الإدارى الأندلسى كانت بياسة من كبار مدائن كورة جيان (صفة الأندلس للرازى ، رقم ١٨ ص ٦٩) وقد خلط مترجمو جغرافية الرازى بينها وبين بَسْطَة Baza فقالوا إن بياسة مشهورة بصنع المُصَلَّيات ، و الحقيقة أن بسطة هى التى اشتهرت بذلك . وكانت بياسة فى منطقة غابات اشتهرت بأخشابها ، وعلى مقربة منها موضع يسمى لَتْشُو سِكُو Lecho Seco اشتهر بهذه الأخشاب . وقد أخطأ ناشرو ياقوت فجعلوه لَتَنْكَشَة (انظر ج ٧ ص٢٢٢) ، وصحة قراءته لَتْشُسِكُه . وبالإضافة إلى ياقوت (٣١٨/٢) وصف بياسة الإدريسى ، ص ٢٠٣ ، ونقل مادته ابن عبد المنعم الحميرى (الروض المعطار ، رقم ٥٧ ص ٥٧) ؛ وقد أشادوا كلهم بشهرتها بالزعفران . وأصل اسمها لاتينى Beatia

وقد سقطت بياسة مع جيان فى يد فرناندو الثالث سنة ١٢٣٦/٦٣٤ وفصل ابن عبد المنعم=

الإمام فى كتاب « سِمْط الجُمان وسِقْط الأذهان » من تأليفه أن أبا العباس هذا رحل عن الأندلس لبَأْوٍ كان فيه استهواه ، وزهو جاوز به غايته ومداه . قال : وكثيراً ما كان يلحظ الجزيرةَ بعين الاحتقار ، ويُنزلها وأهلَها منزلة الصِّغار ، ويأنف أن تكون له دارَ قرار ، فلا يمتثل إلا

[١٥٩-ب] /أنا فى أمـــة تداركها الله غريبٌ كصالحٍ فى ثمـــودِ

حتى قوّض عنها خيامَه ، ومشى ما مشى ظلُّه أمامَه ، فما عُرف أين صَقَع ، ولا فى أى البوار وقع . وهو القائل من أبيات :

همُ وصلوا ليلِي بليلِ ابنِ حُندجِ وقد كان ـ لولا بينُهم ـ ليلَ مَنْبِجِ
ليالىَ لا نجمُ الزجاجة آفلٌ هناك ، ولا بدرُ النَّدِيِّ بمُدْلِجِ[1]
أردد طَرْفى بين برقِ مُدامةٍ وبرقةِ ثغرٍ منه تُحمَى بأدْعَجِ
فأرشف من تَيّاك ريقةَ سلسلٍ وأرشف من ذياك ريقةَ أفلجِ
ولا شَدْوَ إلا صوتُ حَلْيٍ بِلَبّةٍ ولا نُقلَ إلا وردُ خَدٍّ مضرجِ
ووجنةُ تفاحٍ وألحاظُ نرجسٍ وأصداغ ريحانٌ وخال بنفسجِ

[أراد[2] بليل ابن حندج ليل امرئ القيس حيث يقول :

وليلٍ كموج البحر أرخى سدولَه علىّ بأنواع الهموم ليبتلى

=الحميرى ذلك . وتسمى اليوم **Baeza** وهى مركز إدارى فى مديرية جيان وتقع على ٤٠ كيلومتراً شمال شرق جيان عاصمة المديرية .

cf : MADOZ, *op. cit.* III, 293 - 297.

(١) الأصل : مدنج .

(٢) وردت هذه الفقرة كلها فى الهامش بخط مخالف . وهى أشبه بالشروح التى يأتى بها ابن الأبار بين الحين والحين ، ولهذا فقد غلب على ظنى أنها من كلامه ، أسقطه الناسخ وأضافه من راجع الكتاب على الهامش ، وقد وضعت العبارة كلها بين معقوفتين زيادة فى التحرز .

وأشار بليل مَنْبِج إلى قول عبد الملك بن صالح الـ[ـهاشمى][1] حيث سأله الرشيد عن دارة منبج ، فـكان من وصْفه لها أن قال : ليالُها سَحَر كله]

وله فى المدح :

رصانةُ حِلمٍ سفَّهتْ كلَّ أحنفِ وديمةُ جودٍ بخَّلتْ كلَّ حاتمِ
وفطنةُ علمٍ تحتَها إن دَجا الوغى جهالةُ رمحٍ أو سفاهةُ صارمِ

١٥١ — محمد بن حمدين بن على بن محمد بن عبد العزيز ابن حمدين التغلبى ، أبو الحسن

هو ابن عم أبى جعفر حمدين بن محمد بن على بن حمدين الثائر بقرطبة ، والمدعوِّ له بأكثر قواعد الأندلس .

ويعرف محمد هذا بـ « الفُلْفُلِى » فى أهل بيته ، وللمنصور محمد بن أبى عامر عليه وِلادة . وكان ابنُ عمه قد ولاه مُرسية ، بعد مقتل ابن أبى جعفر بناحية غرناطة ، وبعثه بعسكر مع طائفة من أعيان مُرسية ، فلما دنا منها صُدَّ عنها وقاتله العربُ الذين كانوا بها ، فانهزم جمعُه وانصرف مفلولا ، وأميرُ مُرسية حينئذ أبو عبد الرحمن بن طاهر ، مخلوعُ أبى محمد بن عِيَاض بعد خمسين يوماً أو نحوها من ولايته ، وذلك كلُّه فى سنة أربعين وخمسمائة .

ثم سكن ابنُ حمدين هذا مراكش ، مجاوراً لأبى عبد الملك مروان بن

---

(١) أكملت نسبته من الأغانى ، ج ٥ ص ١١٢ .

عبد العزيز و بنى [سيدراى][1] بن وزير رؤساء الغرب — قاله ابن صاحب الصلاة .

وحكى أنهم باتوا ليلةً فى أنس ، جمعهم فيها انقلاب الزمان وابنُ حمدين [١٦٠-١] غائب عنهم ، فلما حضر/كتبوا إليه معرِّفين بذلك ، فجاوب ابنَ وزيرمنهم بأبيات منها :

يا واحدَ الفضلِ والسماحِ ويا فتى الجِدِّ والمزاحِ
سألتَ مستفهماً رسولا فهزَّ منى عِطْفَ ارتياحِ
وليلةُ الأنس لو أعيدتْ أصبحُ عندى من الصباحِ
شربت فيها السرورَ صِرفاً وأنتَ ريحانتى وراحى
فهاج حبى ولذَّ شربى بغير إثمٍ ولا جُناحِ
إيهٍ وقلتم فى وصف ظبيٍ يبسم عن دُرٍّ أو أقاحِ[2]
جديبِ خصرٍ ، خصيبِ ردفٍ ينهض عن مثقَلٍ رداحِ
شكوتُ منه ، ورب شكوى أليمةٍ من هوى الملاحِ
ومَن رأى الليثَ فى محلٍّ يقوده جائلُ الوِشاحِ ؟
يا فارسَ الخيل إذ تلاقى فى مأزق البأس والكفاحِ
إنَّ صِفاحَ الحسان أنكى فى القلب قَرْحاً من الصِّفاحِ
أشفارُ ألحاظها شِفارٌ تندقُّ منها سُمر الرماحِ

---

(١) أكملت الاسم اعتماداً على ما ذكره ابن عذارى فى الجزء الرابع من البيان المغرب (ص١١٠) من عزل سيدراى بن وزيرعن باجه وجميع بلاد الغرب وإقامة حُفّاظ من الموحدين فى هذه النواحى .

(٢) الأصل : « يبسم عن ورد وعن أقاح » وفى الهامش ، « در أو أقاح » ، وكلاهما غير موزون إلا إذا جعلنا همزة « أو » همزة وصل كما أثبتناه .

أىُّ القلوب الصِّحاح يبقى على جفونِ مرضى صحاح ؟
أفديك من عاشق عفيف غير مبيحٍ سوى المباح
ينقاد للبر والمراضى وهو عن النكر ذو جماح
فانعم هنيئاً قرير عينٍ ما اهتزت القضب بالرياح

١٥٢ — أحمد بن عبد الرحمن بن أحمد الوَقَشِىّ الوزير ، أبو جعفر

أحد الكفاة الأمجاد ، والدهاة الأنجاد . وهو من بيت القاضى أبى الوليد هشام بن أحمد الوَقَشِىّ[1] / — وهى قرية بنواحى طَلَبِيرة[2] ، مشددة القاف — [١٦٠-ب]

(١) أحسن ترجمة له هى التى أوردها ابن بشكوال فى الصلة ، وهو هشام بن أحمد بن خالد ابن هشام الكنانى يعرف بالوقشى ، من أهل طليطلة . ولد سنة ٤٠٨ وتوفى فى دانية فى ٢٩ جمادى الآخرة سنة ٤٨٩ . « أحد رجال الكمال فى وقته باحتوائه على فنون المعارف وجمعه لكليات العلوم » . وذكر ابن بشكوال أنه كان ضليعاً فى النحو واللغة ومعانى الأشعار وعلم العروض وصناعة البلاغة ، وكان شاعراً متقدماً حافظاً للسنن وأسماء نقلة الأخبار بصيراً بأصول الاعتقادات وأصول الفقه ، نافذاً فى علم الشروط والفرائض ، متحققاً بعلم الحساب والهندسة ، مشرفاً على جميع آراء الحكماء ، حسن النقد للمذاهب ..» الخ ولكنه قال فى آخر ترجمته: « وقد نسبت إليه أشياء ، الله أعلم بحقيقتها وسائله عنها ومجازيه بها » دون أن يفصح عن شىء من ذلك .

(٢) المراد هنا بلدة وَقَش Huecas المنسوب إليها المترجم له .
وطلبيرة المقصودة هنا هى المعروفة باسم Talavera de la Reina فى مديرية طليطلة ، وتقع على نهر تاجه على ١٥٠ كيلومتراً غربى طليطلة على مجرى النهر ، واسمها فى القديم Caesarobriga ، وقد ذكرها الرازى فى صفة الأندلس (رقم ٤٠ ص ٨٢) وقال إنها من قواعد كورة طليطلة ، وقال إنها «حاجز بين المسلمين والإفرنج» (نقل ذلك ياقوت : ٦/٥٣) .=

وأراه ابنَ أخيه ؛ ونسبُهم فى كِنانة . قام بأمر أبى إسحاق إبراهيم بن أحمد بن هَمُشْك ، ضابطاً لأعماله ومصلحاً لأحواله . ولما هُزم ابنُ سعد وابنُ هَمُشْك معه بغرناطة ، صبيحةَ يوم الجمعة الثامن والعشرين لرجب سنة سبع وخمسين وخمسمائة — وهى وقيعة « السَّبِيكة » إثر [هزيمة] « مرج الرُّقاد »[1] —

= ويذكر ياقوت والإدريسى (ص ١٨٧) أن عبد الرحمن الناصر جدد أسوارها وعمرها . انظر كذلك : الروض المعطار ، رقم ١١٩ ص ١٢٧ .

وهى اليوم مركز إدارى فى مديرية طليطلة . ولازالت بعض آثار التحصينات العربية باقية فيما يسمى **Torres Albarranas** ، وعلى ٣٠ كيلو متراً منها توجد اليوم مدينة أصغر تسمى طلبيرة القديمة **Talavera la Vieja** وهذه تابعة لمديرية **قَصْرِش Cáceres** . وقد سقطت طلبيرة فى يد ألفونسو السادس سنة ١٠٨٢/٤٧٥ ، أى قبل طليطلة بثلاث سنوات .

أما **وَقَّش** فتسمى اليوم **Huecas** وكانت من قرى طلبيرة ، وهى اليوم قرية تابعة لمركز توريخوس **Torrijos** الإدارى فى مديرية طليطلة ، وتقع على ٢٥ كيلومتراً شمال غربى طليطلة .

(١) يشير ابن الأبار هنا إلى موقعتين من أكبر ما دار بين محمد بن سعيد بن مردنيش وصهره إبراهيم بن همشك من ناحية والموحدين من ناحية أخرى . وقد سبق أن تكلمنا عن ابن مردنيش ، وأما ابن همشك فهو — كابن مردنيش — أحد هذه الشخصيات القلقة التى ابتلى بها الأندلس فى فترة الشغور بين المرابطين والموحدين وخلال جزء كبير من عصر هؤلاء . فإن ثورات ابن حمدين وابن هود وأمثالهما على المرابطين هدمت ما كان قد بقى من هيكل النظام ، وانفرط عقد البلاد وانفسح المجال أمام المغامرين الذين يجمعون طوائف من شذاذ الآفاق وقطاع الطرق ويمضون يصبون البلاء على أهل المدن والأرياف . ولا نستطيع القول بأن محمد بن سعد بن مردنيش كان من هذا الطراز تماماً ، فقد كانت فيه أثارة من فضل وهيبة الأمراء . ولكن هذا لم يكن ينطبق على معاونيه وأكبرهم صهره ابن همشك ، واسمه الكامل : إبراهيم بن أحمد بن مفرج بن همشك . وهذا الاسم الأخير لقب أطلق على جده ، وكان من جند بنى هود ، وهو إسبانى مكون من كلمتين : **He mochico** ، **he** اسم إشارة و **mochico** مصغر **mocho** وهو فى القشتالية الثور الذى قطع قرناه أو الذى لا قرن له ، وتقال للرجل الذى قطعت أذنه ، ومعنى الاسم إذن : هذا هو المصلوم الأذن :

Cf : DOZY, *Recherches*, I, 368 - 369.

وقد كان ابن همشك من أقسى الرجال . كان ينزل بخصومه ألواناً من العذاب تقشعر منها =

عُزم على استئصال ابن هَمُشْك ومنازلة بلاده ، فلاذ بالفرار وأسلم جَيّان لوزيره الأخصِّ أبى جعفر هذا . فنازلها الموحدون أعزهم الله ، وهو بضبطها مستبد ، وإلى مؤمِّره عليها مستنِد ، إلى أن صدروا عنها لعمارة قرطبة ودخلوها ضحوةَ يوم الأحد الثانى عشر من شوال من السنة ، وبها إذ ذاك — فيما حُكى — نحو من ثمانين رجلا ، قد أكلتهم الفتنة وشردتهم المجاعة ، من طول إلحاح ابن هَمُشْك عليهم بالحروب ، وشن الغارات مع الشروق والغروب ، رجاء انتظامها مع جَيّان وسائر بلاده ؛ فنُفِّس عن أبى جعفر ، وقد ناب أحسنَ مناب ، وحل من صاحبه آثرَ محل .

= الأبدان ، حتى كان يضع بعضهم فى كفة المنجنيق ويلقى بهم ، وقد فصل ابن صاحب الصلاة أفاعيله (ص ٢٧ — ٢٨ من مخطوطة أكسفورد) . وذكر ابن الخطيب شيئاً من سيرة ابن همشك فى الإحاطة (ج ١ بتحقيق محمد عبد الله عنان) ص ٣٠٥ — ٣١١ وهو يسميه محمد بن مفرج ابن همشك ، وذكر تفسير الاسم ، وقد اعتمد دوزى على هذا التفسير فى شرحه الآنف الذكر ، ثم ذكر سيرته إلى اختلافه مع محمد بن سعد بن مردنيش (وكانت ابنة ابن همشك زوجة مردنيش) وطلاق ابنته منه ، ثم دخوله فى طاعة الموحدين ووفوده على أبى يعقوب يوسف الموحدى سنة ٥٦٥ .

أما هزيمة مرج الرقاد فقد فصل أمرها ابن صاحب الصلاة (ورقة ٢٧ — ٢٨) وملخصها أن ابن مردنيش وابن همشك حاولا انتهاز فرصة انشغال الموحدين فأرادا الاستيلاء على غرناطة وأوقعا بجيش من الموحدين يقوده أبو سعيد بن عبد المؤمن وابن زيد مشرف البلد وأبو محمد بن أبى حفص فى الموضع المعروف بمرج الرقاد وهو على أربعة كيلو مترات من قرية الطرف Atarfe الحالية قرب مجرى نهر شنيل ، يسمى حاليا Majarrocal (انظر : SECO DE LUCENA, *Notas sobre toponomia granadina*, Al-Andalus, 1944, fasc. 2, p. 505) ولكنهما عجزا عن الاستيلاء على قصبة غرناطة . وأسرع الخليفة الموحدى فأرسل جيشاً يقوده أبو يعقوب يوسف ابنه وولى عهده والشيخ ابن سليمان « زعيم وقته وداهية زمانه » كما يقول ابن الخطيب (ص ٣١٠) ، فأوقع الجيش بابن مردنيش وابن همشك هزيمة قاصمة عند السبيكة ، وهى كما يقول الأستاذ عنان فى تعليقاته على الإحاطة (ص ١٢٢ هامش ٦) : « البسيط الأخضر الشاسع الواقع جنوب شرقى الحمراء » . وانظر أيضاً فى تفصيل هذه الحوادث : مقال دوزى :

Recherches, I, 364 sqq. تحت عنوان ***Sur ce qui se passa à Grenade en 1162.***

ولم يزل بعد ذلك يحسن الضبط لبلاده ، ويُظهر الكفاية فى كافة محاولاته ، إلى أن اعتلق ابنُ هَمُشْك بالدعوة المهدية خلدها الله ، ونابذ صهرَه محمد بن سعد ، وذلك فى سنة اثنتين وستين — بعد الوقيعة العظمى بِفَحْص الجلاّب على مقربة من مُرسية ، وكانت يومَ الجمعة سابع ذى الحجة من سنة ستين[1] — ووجّه وزيرَه أبا جعفر هذا وافداً عنه إلى مراكش ومستصرخاً على صهره ابن سعد ، وكان قد وطئ أعمالَه ودوخها ، وتغلب على كثير من معاقله ، وكانت تحته بنتُ ابن هَمُشْك فطلّقها ، ثم ندم . وهدم رحى الوَقّشِىّ بوَلَجَة بلنسية ، فقال فى ذلك :

ألا أبلِغا عنى الشُّرَيْق وأهلَهُ بأنى لا أثنى عِناناً عن الغربِ
لِأُجْلِبها خُزْرَ العيون ضوامرًا وأوطئها أجسادكم بدل التُّرْبِ
هدمتم رَحى من لا يزال بسعيهِ وأفكاره يحنى عليكم رحى الحرب

---

(١) وقيعة فحص الجلاب روى تفاصيلها ابن صاحب الصلاة (ورقة ٥٦ وما يليها) : كان الموحدون — بعد انتصارهم على ابن مردنيش وابن همشك فى وقعة السبيكة ، أو جبل السبيكة — قد قرروا القضاء على ابن مردنيش ، وكان يحكم مستبداً بما بقى من شرق الأندلس حتى بلنسية ، فخرج السيد أبو حفص عمر أخو الخليفة أبى يعقوب يوسف بن عبد المؤمن وذراعه اليمنى فى أوائل ربيع الأول ٥٦٠/ منتصف يناير ١١٦٥ بجيش كبير من مراكش وعبر إلى الأندلس ومعه قوة من مقاتلى العرب يقودهم شيخهم على بن محرز بالإضافة إلى الموحدين ونحو ٤٠٠ فارس من فرسان المرابطين ، وهناك انضمت إليهم قوات السيد أبى سعيد عثمان حاكم الأندلس ، وسار الجيش من إشبيلية إلى قرطبة إلى لُكّه Luque إلى أندوجر إلى بسطة إلى غُلْيَسار Cullar ومن ثم أفضى إلى الفحص المسمى بالفُنْدُون جنوبى بلنسية ، ثم عسكروا فى فحص الجلاب على ١٠ أميال (نحو ١٢ كيلومتراً) جنوبى مرسية ، وفى يوم الجمعة ٧ ذى الحجة ٥٦٠/١٥ أكتوبر ١١٦٥ دارت المعركة وانجلت عن انهزام ابن مردنيش وتشتت قواه ، وأسرع لاجئاً إلى مرسية وقد حطمت هذه الهزيمة قواه ، ولم يلبث أن اختلف مع صهره وشريكه ابن همشك ؛ ومات سنة ٥٦٦/١١٧١ — ١١٧٢ فى مرسية والموحدون يحاصرونها .

انظر بالإضافة إلى ابن صاحب الصلاة فى الصفحات المشار إليها :

A. HUICI MIRANDA, *Historia politica del Imperio Almohade* (Tetúan, 1956) I, p. 226 - 228.

رحَى شـدَّ ما يَفْنَى الرجالُ بطحنها وليس لها قطب سوى الطعن والضرب

/ألم أُجْلِبِ الجيشَ العرمرم نحوَكم وصيَّرتُـكم فى ما علمتُم من الـكرب ؟ [١٦١-١]

وإنى مَلِيٌّ أن أكدِّر ما صـــفا لـكم بعد هذا فى البلاد من الشّرب

فإن يك عن أوطانكم عُمُرٌ نأى فإن أمير المؤمنين على قرب

وله فى وفادته على مراكش سنة أربع وستين يهنئ بعيـد الفطر من قصيدة طويلة :

تَحنُّ إليـكم وافداتُ المواسمِ فتهدى إلى كفَّيـكمُ ثغرَ باسِمِ

ومنهن عيـدُ الفطر جاء مسلِّماً عليكَ فحيّا منك أفضلَ طاعِمِ

ومن قبله وافى الصيامُ بشهره على خير أوابٍ وأفضل صائِمِ

يقول فيها :

تقبَّلتَ أخلاقَ الـكهولة ناشئاً فلم تدر يوماً ما مَناطُ التمائِمِ

ولو لم تشأ وَطْءَ الترابِ بإخمصٍ لَسِرْتَ على هام الملوك الخضارمِ

وله وقد أحضر لمعاينة قتل أسد هائل المنظر يصفه من كلمة :

جَهْمُ المحيّا إن تبسَّم هِبْتَهُ ومن العجائب هيبةُ المتبسِّمِ

ويقال كل الصيد فى جوف الفرا وأرى الفراء لديه بعض المطعم

وكأنما هو ناظر عن زئبقٍ وكأنما هو كاشر عن مِخْذَمِ (١)

وكأن لبـــدته بقيةُ فروةٍ قَصُرتْ على طول الزمان الأقدم

لما تمرد فى العرينة فُتِّحتْ أبوابُها فانساب مثلَ الأرقم

وعلا زئيرٌ منـه حتى خِلتُهُ كالفحل يهدُر عند شولٍ هُيَّمِ

---

(١) الأصل : مخدم ، والصواب مِخْذَم وهو السيف .

وظننت أن الرعد من حيث الحيا حتى سمعتُ اليوم رعدًا من فم
وتناولتْ زُرقُ الأسنة زَرْقَهُ حتى بدا فى شكله كالشيهم

ولى فى هذا المعنى من كلمة قلتها عند وفادتى على حضرة تونس — أيدها
[١٦١-ب] الله — رسولا / عن والى بلنسية ودانية — أبى جميل بن سعد — وقد أحضِرتُ
لمثل ذلك فى أواخر شعبان سنة ست وثلاثين وستمائة :

تحنُّ إلى ملعبٍ للظباء بكُثبان رامـــةَ أو غُرَّبِ
فهلاّ إلى ملعبٍ للأســـودِ سَـــعدتَ بمنظره المعجب ؟
يقامُ الجهادُ به والجِـــلادُ لكلِّ فتىً مِذْرَهٍ مِخْـــرَب
ويُضرَى على الفتك بالضاريات فإن غالبَ القِرنَ لم يُغلب
ضوارٍ ضـــواربُ أظفارها تعـــــير الظُّبى رقةَ المضرب
فمِن أسَـــدٍ شرسٍ مُحنَقٍ ومِن نمِرٍ حَردٍ مغضَبِ
أثيرت حفـــائظُها فانبرت تسابق فى شـــأوها الأرحب
تُصِم المســـامع من زأرها عـــوادىَ كالضُّمَّر الشُّزَّب
وتنبو العيـــون لإقدامها مذرَّبةَ النـــاب والمخلب
كواشرُ عن مرهَفاتٍ حِـــدَادٍ متى تَصْدع الهامَ لا تنشب
نيوبٌ نَبَتْن من النائبات وأزرين بالصـــارم المِقضَب
تنـــــوء ثقـــالا ولـكنها أخفُّ وثوباً من الجُنْدُب

ومنها فى وصف مُلاعب لها من أهل الثقافة ، وكانت فى ذلك اليوم المبارك أربعة آساد ونمرين ، يدحرج إليها كرة متصلبة من خشب محكمة الصنعة تحجُبُه

من بأسها وهى رابضة ، وبيده حدائد طوال فى نهاية الإرهاف معدة لها . فإذا أحسَّتْ به وثبتْ على الكرة ، فألقمَ أفواهَها تلك الحدائد ، ودحرج الكرة ، فتباعدت عنه تَمُجُّ الدم ، وأحياناً يجهز بها عليها إذا لم يأمن عاديتها . وقد حفر بمجالها الرحب لآخرين مهاوٍ تَسَعُ جثثهم ، ولها أبواب صغار يطبقونها عليهم ، فإذا ربضت على بُعد صيح بأحدهم ، ففتَح باب تلك الهوة وهَجْهَج بها وربما ألمع لها/ بما يكون فى يده ، فما هو إلا أن تراه فيكاد وثوبُها إليه يُعْجله عن إطباق [١٦٢-١] الباب عليه ، ثم تنصرف عنه يائسة منه ، وقد اشتد حَنَقها وعَظُمَ زئيرُها ، فيعاين من ذلك آنق منظر وأبدع مرأى :

ومقتحمٍ غَمَرَاتِ الرَّدَى إذا ما ادَّعى الباسَ لم يكذبِ
يلاعبها حيث جَـدَّ الحِما مُ فتفزع منـه إلى مهرب
يكُرُّ عليها ولا جُنَّـةٌ سوى كُرَةٍ سهلةِ المجذَب
يدحرجها ماشـياً ثِنْيَها على حذرٍ مِشيةَ الأنكب
عجبتُ لها ، أحجمتْ رهبةً وأقدَمَ بأساً ، ولم يرهب
وقَتْه الأواقى على أنَّهُ تَسَنَّمها صـعبةَ المركب
وثاوٍ بمَطْبَقَـةٍ فوقَهُ متى تَطْفُ هامتُه ترسُب
يُهَجْهِجُ بالليث كيما يهيج ويأوى إلى الكهف كالثعلب
كذلك حتى هوتْ نحوَها عُقاب المنية من مِرقب
وعاجت عليها قواسى القِسِىِّ فعبَّتْ من الحين فى مشرب
وشالت هنـاك بأذنابها لِياذاً من العَقْر كالعقرب
فيا لِقَساوِرَ قد صُـيِّرتْ [فرائس][1] للأسهم الصُّيَّب

(١) لم يرد من هذه الشطرة إلا : الأسهم الصيب ، وقد أكملته للوزن والمعنى .

وللوَقَّشِيِّ تحقق بالإحسان ، وتصرف فى أفانين البيان ، وكتابى المؤلَّف فى أدباء الشرق المترجَم بـ « إيماض البرق » ، مشتمل على كثير من شعره . ومَدَحه أبو عبد الله الرُّصافى[1] بما ثبت فى ديوانه ، وأعرب عن جلالة شانه . وبالجملة فهو وأبو جعفر بن عطية من مفاخر الأندلس ، وكانا متعاصرين ، وفى الكفاية متكافئين ، ولذلك فى النثر مزية هذا [فى] الشعر . وله يصف الزرافة من أبيات :

لَبِسَتْ من الصُّفْر الأنيق مُلاءةً مرقومةَ الجنَبات بالعِقْيانِ
[١٦٢-ب] /وكأنها قد قُسِّمت فى خَلْقها فأتَتْك بين الخيل والبُقْران
وكأن قرنيها إذا شالتهما قَلَمان قُلِّم منهما الطرفان
طالت قوائمها وطال تَلِيلُها حتى لقد أوفى على الجدران
وتفاوتت فى سمكها فوراؤها ثلُث لها ، وأمامُها ثلُثان

وله فى حِفظ السر :

ومستودِعٍ عندى حديثاً يخاف من إذاعته فى السرِّ أن ينفد العُمرُ
فقلت له : لا تخش منى فضيحةً لسرٍّ غدا ميْتاً ، وصدرى له قبر

---

(١) محمد بن غالب الرَّفّاء الرُّصافى ، رصافة بلنسية ، وسكن مالقة ، يكنى أبا عبدالله . يقول ابن الأبار عنه : « كان شاعر وقته المعترف له بالإجادة مع العفاف والانقباض وعلوالهمة والتعيش من صناعة الرَّفْو التى كان يعالجها بيده . لم يبتذل نفسه فى خدمة ولا تصدى لانتجاع بقافية ، حُملت عنه فى ذلك أخبار عجيبة » . وهو دون شك من أعظم شعراء العصر الموحدى ، ومن أسف أننا لم نجد ديوان شعره بعد . توفى فى مالقة يوم الثلاثاء ١٩ رمضان ٥٧٢/١١٧٧ ، وقد عاش صَرُورَة لم يتزوج قط (ترجمة رقم ٧٧٢ ج ١ ص ٢٣٧ — ٢٣٨) .

وترجم له أيضاً الضبى (رقم ٢٥١) ، ويسميه المقرى ابن رومى الأندلس (طبعة أوروبا : ٣٢٧/٢) ، وانظر الرايات رقم ١٠٨ ص ٨٤ من النص العربى وص ٢٥١ من الترجمة الإسبانية . وترجم له نيكل فى :

A. R. NYKL, *Hispano - Arabic poetry* (Baltimore, 1946) p. 326 - 327.

وأورد عبد الواحد المراكشى شيئاً من شعره فى المعجب ؛ هذا وقد جمع الدكتور إحسان عباس ما وجده من شعره فى مختلف المراجع ونشره فى بيروت سنة ١٩٦٠ .

على أن مَن فى القبر يُرجَى نشورُه وسرُّك ما يُرجَى له أبداً نَشْرُ

وله مما استفدته من أبى ــ رحمه الله ــ وأنشدنيه :

ألا قرَّب الله الديارَ وأهلَها ومَن حلَّ فى شِقٍّ من الغرب نازحِ
أعانقُ صدرى فى الخلاء تشوُّقاً لكونهمُ ما بين طىِّ الجوانحِ

وبينهما بيت ثالث ذهب من حفظى .

وله فى النسيب أيضاً :

لعلَّ فى الظاعنين سـارا من كان لى بالعقيق جارَا
إن صح هذا خذوا بذَحْلى من بينهم حَادِىَ المَهَارَى

يقول فيها :

ما بالُ عينىَّ منذ بتتمْ لم تطعما للكرى غِرارَا
وما لوردٍ بوجنتيكمْ أنبت فى وجنتى بَهارَا
أيا نديمَىَّ أخبرانى فإن فيما أرى اعتبارا
أبصرتُما قبلَها قضيباً قد أثمر الليلَ والنهارا ؟
أو وجنةً وهى جسمُ ماء تعود إثرَ الحياء نارا ؟

وله فى الشقائق :

وشقائقٍ لاحت على الأغصانِ مثل الخدود تُزان بالخِيلانِ
/ يهفو النسيم مع الأصائل والضحى فيهز منها مَعْطِفَ النَّشْوان [١٦٣-١]
فكأنها قُضُبُ الزُّمُرُّدِ ألصقتْ بالمسك فيها أكؤسُ العِقيان

وله فى غصنٍ منوِّر بيد حبشى طلع به وهو فى مجلس أنسه مع ندمائه :

وزنجىٍّ ألمَّ بغصنِ نَوْرٍ وقد زُفَّتْ لنا بنتُ الكُرومِ

فقال فتى من الندماء : صِفهُ فقلت : الليل أقبل بالنجوم

وقد أنشدنيهما صاحبُنا أبو على بن سليمان الأمين[1] القُرَيشى بمنزلى من حضرة تونس ، قال : أنشدنيهما الأستاذ أبو على عمر بن عبد المجيد الرُّنْدِى[2] بمالقة لأبى عبد الله الرُّصَافى ، وحَكى لى عنه أنه كان بظاهر مالقة مع طائفة من أصحابه على أُنسٍ ، فصعد غلامُ أحدهم إلى شجرة لوز منوِّرة فاقتطع غصنا منها وأتاهم به ، فسألوه وَصْفَه فقال بديهاً :

وزنجىٍّ ألمَّ بنَوْرِ لَوْزٍ وفى كاساتنا بنتُ الكروم

وما بعده كما تقدم ، إلا أنه قال « من الفتيان » مكان قوله « من الندماء » . وغلط أبو مروان بن صاحب الصلاة الإشبيلى فنسبها فى تاريخه إلى بعض الأمراء ، وزعم أنه قالها فى حبشىٍّ بيده شمعة ؛ ولا يليق هذا التشبيه بذلك .

وتوفى أبو جعفر الوَقَّشِىُّ بمالقة ، صادراً عن مَرّاكش ، فى سنة أربع وسبعين وخمسمائة[3] .

---

(١) وردت فى الأصل : الأيبى . ولم أعثر على الاسم فى مرجع آخر ، فقومت الكلمة كما ترى فى المتن .

(٢) عمر بن عبد المجيد بن على الأزدى المعروف بالرندى لأن أصله منها ، يكنى أبا على وأبا حفص ، نزيل مالقة . من أكابر فقهاء النصف الثانى من القرن السادس وأوائل السابع الهجريين ، إذ توفى سنة ٦١٦ عن ثلاث وسبعين سنة . انظر ترجمته فى التكملة ، رقم ١٨٢٨ ، ج ٢ ص ٦٥٧ — ٦٥٨ .

(٣) أورد نيكل فى كتابه الآنف الذكر ، ص ٣٢٦ فقرة لا بأس بها عن أبى جعفر الوقشى .

وحدثنى شيخنا أبو الربيع بن سالم أنه اجتاز ببقيع مالقة[١] ، فاستحسن ما رأى من زخرفة القبور به ، واغتراس الأشجار ذات النواوير والأزهار أثناءها ، فتمنى أن يُدفن هنالك فوَفَتِ الأقدارُ بأمنيته عند موافاة منيته .

وكانت وفاة أبى إسحاق بن هَمُشْك قبله بمكناسة ، فى صفر سنة ثنتين وسبعين وخمسمائه .

١٥٣ — أحمد بن محمد بن جعفر بن سفيان المخزومى ، أبو بكر

صحب أبا العباس أحمد بن مَعَدّ الأُقْلِيشِىّ الزاهد ومال إلى طريقته ، وأنفق فى أبواب الخير والمعروف / أموالا جليلة ؛ سمعت شيخنا أبا الخطاب بن واجب [١٦٣-ب] وغيره يذكرون ذلك . وكان يُعرف بالعابد ، لكثرة إيثاره وطول صحبته الفقراء ، وإكبابه على الأعمال الصالحة . ودارُه جزيرة شُقْر[٢] من أعمال بَلَنْسِيَة ، وبيتُه شهيرُ النباهة .

---

(١) بقيع مالقة هو موضع مقابرها .

(٢) جزيرة شُقْر أو الجزيرة أو شُقْر : فى التقسيم الإدارى الأندلسى كانت من مدائن بلنسية (انظر صفة الأندلس للرازى ، رقم ٢١ ص ٧١) ، وهى مدينة على جزيرة فى مصب نهر شُقْر Jucar الذى يسمى وادى شُقْر ، وهو نهر متوسط الطول جنوبى النهر الأبيض (وهو نهر بلنسية المسمى Turia) . وقد أطال العذرى فى جغرافيته وصف ذلك البلد . وكانت شُقْر بلداً زاهراً غنياً ينسب إليه ابن خفاجة الشاعر فيقال له الشُّقْرِى والجزيرى . وتسمى اليوم Alcira وهى مركز إدارى فى مديرية بلنسية . وقد سقطت شقر فى يد خايمه الفاتح ملك أرغون سنة ١٢٤٢/٦٤٠ ، وفى سنة ١٦٠٩ كانت مسرحاً لثورة كبرى قام بها الموريسكيون .

انظر : الإدريسى ، ص ١٩٣ . الروض المعطار ، رقم ٩٢ ص ١٠٣ والترجمة الفرنسية ص ١٢٦ ، وقد اختصها زايبولد بمادة صغيرة فى د. م . إ - ١/٢٥٥ .

ولما ضعف أمر أبى عبد الله محمد بن سعد بشرق الأندلس ، وانسلخ من طاعته أبو إسحاق بن هَمُشْك صهرُه بجَيّان وما إليها ، ثم ابنُ عمه أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن سعد بالمَرِيَّة ، واستوحش حتى من نفسه ، أخرج أهلَ بَلَنْسِيَة منها وأسكنهم ظاهرَها ، وشحنها بالروم وأتباعهم . ونوى ذلك فى غيرها ، فخاف أبو بكر بن سفيان هذا أن يخرجه من بلده — وكان فيها متّبعا — فدعا للموحدين أعزهم الله ، وخلع ابن سعد ، ورأس بموضعه ، ومالأ جيرانَه . فأنفذ إليه الرئيسُ أبو الحجاج يوسفُ بنُ سعد قائداً من كبار أصحابه فى جملة من خيله ، ورسم له حصارَه والتضييق عليه ، فبدأ بمنازلته منتصفَ شوال من سنة ست وستين وخمسمائة ، وأقام على ذلك إلى منتصف ذى الحجة ، وابنُ سفيان يقاومه ويقوم بتدبير بلده ، والأمدادُ تتلاحق فى كل حين وتحدق به ، وابنُ سعد وأخوه أبو الحجاج قد اكتنفاه فى الجموع الكثيفة ، حتى خيف من الوهَن . فاقتحم البلد ذو الوزارتين أبو أيوب بن هلال ، مقويا عزائمَ أهله ، وضامناً لهم الاستقلالَ بضبطه ، فتخلى ابنُ سفيان له عنه ، راضياً فى الظاهر متبرماً فى الباطن . وتولى ابنُ هلال من المصابرة فى تلك المحاصرة ، والمحاولة لتلك المصاولة ، ما أبقاه أثراً مشهوراً ، وخبراً تداولته الألسن دهوراً . واعتل ابنُ سعد خلالَ ذلك فلحق بمُرسية ، وألزم أخاه ملازمةَ البلد ، فتنفس الخِناق ، ثم انتعشت بوفاته الأرماق .

ولابن سفيان حظ من النظم قصَره على الزهد ، وهو القائل من أبيات :

كلُّ عطاء فإلى عـــلةٍ لا شك يُفضى ، ولِوَجْهِ السَّقَمْ
إلا الذى منك بلا عـــلةٍ يا خالقَ العرشِ ومُجرِى القلمْ

كلُّ الورى لابسُ ثوبِ الدجى لولا سناً منك يُجَلِّى الظُّلَمْ

/وأما ابنُه أبو المطرف محمد ، فقوىُّ العارضة ، مُعِين الطبع ، حسن [١٦٤-١] التصرف . وله عن أبيه وسائر أهل بلده — عند اشتداد الحصار وتمادى المضايقة — رسالة حسنة فى الاستصراخ والاستنصار أودعها أبياتاً ، منها :

تدارِكْ أميرَ المؤمنين دماءنا فإنك للإسلام والدين ناصرُ

ووجِّه إلى استنقاذنا بكتيبةٍ يهابُ الردى منها العدوُّ المحاصرُ

تنفَّسُ من ضيق الخناق بقُطرنا فتُدرِكَ آمالٌ وتُرعَى أواصرُ

إذا ما انكفَى بالخزيِ وارتد خائباً فمطمحه عن نَيْلها متقاصرُ

فليت ابن سعدٍ إذ تألَّفَ مانعَتْ فلم تتمخضْ عن قُواهُ العناصرُ

ستُذهب أنوارُ الخلافةِ ظلمَه وتلفِظُهُ بعد الخيول المقاصرُ

ويهدم ما قد أسس الكفرُ عندَه كريمُ السَّنَا تثْنى عليه الخناصرُ

فهذا الذى يبنى المساجدَ أمرُه وأمرُ ابنِ سعدٍ أن تُشادَ المعاصرُ

وذا المَلْكُ آياتُ المثانى تهزُّهُ وذاك بأصوات المثانى البناصرُ

بقيتَ أميرَ المؤمنين مخلَّداً وكلُّ الورى عن كُنْهِ وَصفِكَ قاصرُ

ومالَه عندى ، ولأخويه أبى محمد عبد الله وأبى جعفر أحمد — وكانوا جميعاً أدباء نجباء — فى كتاب « إيماض البرق » من تأليفى مستوفى والحمد لله .

١٥٤ – نفيس بن محمد الرَّبَعى البغدادى ، أبو الفضل – يعرف بابن قُمُّونة

ونسبه صريح فى ربيعة . وقدم على المغرب فتُلقى بالقبول ، ووُلى الجزيرةَ الخضراء . وكان أديباً فصيحاً ، وهو القائل فى مقتل عمر المعروف بالرشيد سنة أربع وثمانين وخمسمائة :

فلله دَرُّك من عادلٍ أقرَّ عيوناً وأذكى عيونَا
سطا بالرشيد فكان الرشيدَ ولَوْ فاتَه الحزمُ كان الأميفَا

[١٦–ب] / وله :

لولا خيانةُ حَيُّونٍ لقلتُ لكم هو الأمانةُ مما فيه من ثِقَلِ
هو الطويل وفى معروفه قِصَرٌ كأنه ليلُ مشتاقٍ بلا أملِ

١٥٥ – عبد الرحيم بن إبراهيم بن محمد الخزرجى الغرناطى ، أبو القاسم – المعروف بابن الفَرَس

ثار بناحية مَرّاكُش من المغرب واشتملت عليه طوائف من البربر ، ثم غدر به بعضهم ، فقُتل وحُز رأسُه وسيق إلى مَرّاكُش ، وذلك فى نحو الستمائة . وهو القائل فى ثورته ، وكان شاعراً مطبوعاً :

قولوا لأبناء عبد المؤمن بن عَلى تأهبوا لوقوع الحادث الجللِ
أتاكمُ خيرُ قحطانٍ وعالمُها وصاحبُ الوقت والغلّابُ للدولِ

والناسُ طوعُ عصاه وهو قائدهمْ بالأمر والنهى نحو العلم والعمل
فبـــادروا أمرَه ، فالله ناصِرُهُ والله خاذلُ أهلِ الزَّيغ والزلل

وهى طويلة .

وله أيضاً :

عسى عطفةٌ من جانبِ القُدسِ تسمحُ وبارقةٌ من جانبِ اللطف تلمَحُ
عسى اللهُ يُدنينى إلى ساحةِ الرضا فأقرع أبوابَ الغيوب فتُفتَحُ
وما زال فضلُ الله يغمر ساحتى ويَظهرُ لى من حيثما أتلمَّحُ
إلى الملإِ الأعلى سمـــوتُ بهمتى كذلك شأن الشَّكْلِ للشكلِ يجنَحُ

١٥٦ — محمد بن سيدراى بن عبد الوهاب ابن وزير القيسى ، أبو بكر

كان أبوه أبو محمد سيدراى أميراً بغرب الأندلس فى الفتنة ، وتغلب على أبى القاسم بن قَسِىّ فى شعبان سنة أربعين وخمسمائة ، ثم نظَمتْه الدعوةُ المهدية مع رؤساء الأندلس ، وحضر حصار إشبيلية هو وابن قَسِىّ فى العساكر المحيطة بها مع الأساطيل برًّا وبحراً إلى أن فتحت يوم / الأربعاء الثانى عشر من شعبان [١٦٥-١] سنة إحدى وأربعين ، وفر الملثمون عصرَ ذلك اليوم إلى قَرْمُونَة ، وتخلى أبو محمد المذكور عن شِلْب سنةَ اثنتين وخمسين ، فمُلكتْ مع قلعة مِيرْتُلَة .

وكان من رجالات الأندلس رجاحةً وشهامةً . وكذلك كان ابنُه أبو بكر

هذا ، ووَلِىَ قصرَ الفتح المنسوب إلى أبى دانِس[1] عند استرجاعه من أيدى

(١) قصر أبى دانس ، حصن فى ناحية « الجوف » فى الأندلس ، ولم أتبين إن كان تابعاً من الناحية الإدارية لكورة الأشبونة أولكورة باجة ، فهو فى منطقة الحدود بينهما ، وهومنسوب إلى بانيه أبى دانس بن عوسجة المصمودى (جمهرة أنساب العرب ، لابن حزم ، ص ٤٦٦) ذكره فى سياق كلامه عن المصامدة فى الأندلس وقال : « وبنودانس بن عوسجة كانوا أصحاب قُلُنْبِيرة ، وإلى جدهم ينسب قصر أبى دانس فى الجوف » ويسمى الموضع حاليا **Alcacer do Sal** (بالبرتغالية ، أى تصر الملح) وهو يقع على نهر شَطُوبَر الذى يسمى اليوم **Sado** وهو نهير صغير يصب فى بحيرة ضحلة صغيرة متصلة بالبحر تسمى اليوم **Setúbal** ، وقد أعاد الحكم المستنصر بناء الحصن بعد غارة المجوس على غرب الأندلس سنة ٣٥٩/٩٧٠ . وكان لقصر أبى دانس دور عظيم فى العصر الموحدى ، نظراً لاهتمام خلفاء الموحدين بالدفاع عن غرب الأندلس . وكان بنو وزير — ومعهم المترجم له — من أكابر بيوت هذا الثغر ، وقد سبقت الإشارة إلى جدهم أبى محمد سيدراى بن عبد الوهاب بن وزير القيسى الذى ثار فى يابره وباجة ودخل فى طاعة ابن قَسِىّ ثم اختلف معه وانتزع منه مرتلة وبطليوس سنة ٥٤٠/١١٤٦ واشترك معه فى الاستيلاء على إشبيلية من المرابطين سنة ٥٤١/١١٤٧ . وقد اختلف مع الموحدين حينا ، ولكنه — على الجملة — كان من خيرة رجالهم . ويبدو أنه توفى بعد سنة ٥٦٥/١١٧٠ بقليل ، لأننا لا نسمع بعد ذلك إلا عن ابنه أبى بكر محمد المترجم له هنا وأخيه على الذى كان والياً على سِرْبَة **Serpa** ثم وقع فى أسر البرتغاليين . وفى سنة ٦١٤/١٢١٧ — عندما هاجم البرتغاليون قصر أبى دانس مصممين تصميماً كاملا على الاستيلاء عليه ، لأنه كان يعوق تقدمهم نحو الجنوب — نجد والى الحصن المدافع عنه رجلا من بنى وزير هو عبد الله بن وزير ، ويبدو أنه ابن أبى بكر محمد هذا . وقد استعان البرتغاليون فى الاستيلاء على الحصن بأسطول من الصليبيين الألمان ، ومع ذلك لم يسقط فى أيديهم إلا بعد قتال مرير وحصار طويل فى جمادى الثانية ٦١٤/سبتمبر ١٢١٧ فى يد ألفونسو الثانى ملك البرتغال بعد أن قتل كل أهل القرى حوله . وتظاهر عبد الله بن وزير باعتناق المسيحية لينجو من القتل ثم هرب بعد ذلك . والبلد اليوم مركز إدارى فى مديرية يابرة **Evora** فى البرتغال ، ويقع فى منتصف المسافة بين باجه **Beja** والأشبونة ، ولازالت بقية الحصن العربى قائمة فيه .

انظر : أبو الفدا ، تقويم البلدان ، ص ١٦٩ . وقد اختصره الروض المعطار بمادتين ، رقم ١٤٥ (القصر) ص ١٦١ ورقم ١٤٦ ، ص ١٦٢ (قصر أبى دانس) ، وانظر الترجمة الفرنسية للمادتين ، ص ١٩٣ (وتعليق ٣) وص ١٩٤ و :

A. HUICI MIRANDA, *op. cit.* II, 442-443.

ودائرة المعارف الإسبانية (إسْپاسَا كالْپ) ج ٤ ص ١٢٠٧ .

الروم فى جمادى الأولى سنة سبع وثمانين وخمسمائة ، وكانوا قد تغلبوا عليه سنة خمس وخمسين ، وأقام والياً عليه سامىَ الرتبة نامىَ الحظوة ، إلى أن توفى فى صدر المائة السابعة بعد حضوره بوقيعة العِقاب[1] ، وكانت يوم الاثنين منتصف صفر سنة تسع وستمائة . وهو القائل فى حرب ظهر فيها على الروم :

ولما تلاقينا جرى الطعنُ بيننا ... فمنا ومنهم طائحون عديدُ
وجال غرارُ الهند فينا وفيهمُ ... فمنا ومنهم قائم وحصيدُ
فلا صدرَ إلا فيه صدرُ مثقَّفٍ ... كلانا على حَرِّ الطعانِ جليدُ
ولكنْ شددْنا شدةً فتبلَّدوا ... ومن يتبلَّدْ لا يزال يَحيـــدُ
فولَّوْا وللبيض الرقاقِ بهامهمْ ... صليلٌ وللسُّمر الطوال وُرودُ

وله فى النسيب :

ومرنَّحِ الأعطافِ تحسِبُ أنهُ ... متململٌ أبدًا بصِرْفِ مُدامِهِ
خَنِثِ المحاجِرِ والجفونِ كأنما ... يَسرِى فتورُ جفونه لكلامِهِ
فضح الهلالَ بوجهه ولربما ... فضح القضيبَ بلينه وقَوامه
وغدا شقيقَ سميِّه فى حُسنهِ ... وغدا العَنا وقفاً على أُوّامه

وله :

وبتْنا جميعاً مثل ما لفَّتِ الصَّبا ... قضيبين من نوعين ذاوٍ وناضرِ
فطوراً أمصُّ الشهدَ من جوهر اللَّمَى ... ويا عجباً للشهـــد بين الجواهر
وطـــوراً عناقاً لا تنفُّسَ بيننا ... ولكن تناجِينا بسرِّ الضمائر

---

(١) هى الموقعة المشهورة عند الموضع المعروف اليوم باسم Las Navas de Tolosa بمديرية جيان الحالية على ٥ كيلومترات شمال شرق لاكارولينا La Carolina ، وكانت فى ١٥ صفر ٦٠٩/١٧ يوليو ١٢١٢ ، وتفاصيلها كثيرة فى مَراجعنا .

[١٦٥-ب] / أقول : أما للصبح من متنفَّسٍ ؟ وعندىَ أنَّ الليلَ لمحةُ ناظر

وله وقد فَصدتْ أم ولده وكانت غالبة عليه :

يا مَن علا[1] فحَلا فى النفس موقعُهُ ومَن هو القلبُ أو فى القلب مرتَعُهُ
لم تملإِ الطِّسْتَ لما أنْ فَصَدْتَ دماً وإنما الصَّبُّ ذابتْ فيه أدمعُهُ
فلا تخَفْ بعدَها من حادثٍ نَبَأً فاللهُ والفَلكُ المأمورُ يدفعُهُ

وما أحسن قول الحسين بن عبد السلام فى هذا المعنى وقد فَصدتْ محبوبته :

ما أنت شاكية حقاً ، أنا الشاكى عافانىَ اللهُ مما بى ، وعافاكِ
حللتِ منى فؤاداً حشوُه لهبٌ فإن حُمِمْتِ فهذا أصلُ حُمّاكِ
قالوا مَدَدْتِ إلى الحَجّام جارحةً وموضعُ الفَصْدِ منها عينُ مُضْنَاكِ
أسال من فضةٍ بيضاء فى ذهبٍ ياقوتةً هى دمعُ المشفِقِ الباكى

ولأبى بكر فى كلب صيد وطئه فرس له حول خبائه فهلك ، وهو من جيد شعره :

يا مجهدَ النفسِ فى إدراكِ مطلوبى ومُسعِدِى حين إدلاجى وتأويبى
وحارسى ورداء الليلِ مشتملٌ من كل مستلبٍ فى زىِّ مسلوبِ
ويا وفيًّا بما خانَ الرجالُ بهِ وراثةً عن مطاويعٍ مناجيب
كنتَ المصيخَ لأمرى والمطيعَ لهُ وإن تعرَّض فيه كلُّ مرهوب
ففاجأتكَ المنايا حيث تأمنُها من طالبٍ لم تفتْهُ عينُ مطلوب
لئن طوتْكَ الليالى طىَّ بُردتها لقد طوتْ فيكَ أُنسِى طىَّ مكتوب
وأودعَتْنى سرًّا من سجيَّتِها بأنَّ رغبتَها نَكْلٌ لمرغوب

(١) يمكن أن تقرأ أيضاً : يامن غلا .

فكم غَنِينا وقد رُحنا إلى قنص ببعض حُضْرِكَ عن قرع الظنابيب
/ونابَ نابُك فى ما كنتَ تقرِسُهُ من الظباء عن الصُّمِّ الأنابيب [١٦٦-١]
قد كنتَ تُولِي الرَّدى مَن حانَ موعدُهُ حتى أتاك لوعدٍ غيرِ مكذوبَ

* * *

وممن كان بإفريقية فى آخرِ هذه المائة
من رجال الدعوة المهدية ، خلَّدها الله :

١٥٧ — عمر بن جامع ، أبو على

هو ابن أخى أبى العُلَى إدريس بن أبى إسحاق بن جامع الوزير ، وكان بإفريقية فطال مكثه بها ، وحنَّ إلى بنيه فاستدعاهم من مَرّاكُش وقال فى ذلك شعراً خطه فى رقعة ، ثم نشأت له قبلَ وصولهم غزاةٌ إلى سُلَيْم من العرب ، فقُتل فيها ، ووُجدت الرقعةُ فى جيبه ومن أبياتها :

سقْتنا بَعدَكم أيدى الفراقِ كؤوساً طعمُها مرُّ المذاقِ
فأضرمتِ الحشا ناراً وأجرَتْ دموعاً تَستهلُّ من المآقى
فلولا النارُ مُتُّ غريقَ دمعٍ ولولا الدمعُ مُتُّ من احتراق
ولكنْ حين حُمَّ النأىُ عنكم وأعلى صوتَه حادِى الرفاق
خَشِيتُ خروجَ قلبىَ من ضلوعى وخِفتُ بلوغَ نفسىَ للتراق
ولكن لا احتكامَ على الليالى وهل مما قضاه اللهُ واقِ ؟

١٥٨ — عبد الواحد بن عبد الله ، أبو محمد المعروف بوامَجُّور[١]

وَلِىَ تونس ، وكان شهماً صارماً سفاكاً للدماء ، ونُكب بعد محاصرة قَفْصَة والظفر بها وبالثائرين فيها بدعوة علىّ بن غانِيَة ، وذلك سنةَ ثلاث وثمانين وخمسمائة[٢] ، ومات بنواحى بِجَاية فى طريقه إلى المغرب مسخوطاً عليه . ويُنسَب إليه أنه قال فى محبِسه :

نَصحتُ فلم أفلحْ ، وخانوا فأفلحوا ... فأنزلَنى نُصحى بدار هوانِ
[١٦٦-ب] /فإن عشتُ لم أنصحْ وإن متُّ فالعنوا ... ذوى النصحِ من بَعدى بكلِّ لسانِ

وهذا عندى كما يُنسب إلى أبى بكر بن إبراهيم المَشُوفِى المعروف بابن تافَلَوِيت[٣] — والى سرقسطة فى صدر هذه المائةِ سنةَ ثمانٍ ، والمتوفى بها فى رجب

---

(١) ورد الاسم فى الأصل : وامحور ، دون نقط . وقد صوبت الاسم بحسب ما ورد فى كتاب أخبار المهدى لأبى بكر الصنهاجى المعروف بالبيدق ، وقد ورد هناك : أبو محمد عبد الواحد بن وَمَّجُور الهنتاتى ، وكان من الطبقة الثانية من الموحدين المعروفين بأهل خمسين أو أيت خمسين (انظر ص ٣٥ من النص و٥٣ من الترجمة الفرنسية) . وورد الاسم فى الجزء الرابع من البيان المغرب لابن عذارى (ص ١٠١) : أبو محمد بن واسجور ، وانظر الترجمة الإسبانية بقلم أويثى ميراندا (ج ١ ص ١١٨ وتعليق ٢) . أما ابن الأثير فيذكره باسم عبد الواحد ابن عبد الله الهنتانى .

(٢) انظر تفاصيل ذلك فى الجزء الرابع من البيان المغرب لابن عذارى ، ص ١٠٩ وما يليها .

(٣) هو أبو بكر بن إبراهيم ، الأمير أبو يحيى المسوفى المعروف بالصحراوى . ترجم له ابن الخطيب ترجمة واسعة وذكر أنه كان صهر على بن يوسف ، زوج أخته ، ولم تفصح =

سنة إحدى عشرة منها — أنه قال فى سيفٍ ، ووقفتُ على ذلك من وجوه :

هززتُ حُسـامًا فشبَّهتهُ غديراً من الماء لـكن جَمَدْ
ومهما بدا لى منه فِرِنْدٌ لهيباً من النار لـكن خَمَدْ
فلولا الجمودُ ولولا الخمودُ لسالَ لدى الهزِّ أو لاتَّقَدْ

وكما يُنسب أيضاً إلى يحيى بن إسحاق بن غانِيَةَ المَسُوفِى أنه قال :

وإذا تجيشُ النفسُ قلتُ لها : قِرِى ـ ـموتٌ يريحُكِ أو ركوبُ المِنبرِ
ما قد قُضِى لا بد أن تَلْقَيْنَهُ ولكِ الأمانُ من الذى لم يُقدَرِ

وهذا الشعر الأخير إنما هو لأبى الحسن التِّهامى ، وهو موجود فى ديوانه ، والذى قبله يُروى لابن المعتز ولغيره . والظاهر أنهم يتمثلون بما يحفظون فيتوهم سامعُهم أن ذلك لهم ، وإلا فرفعةُ الحال تنزههم عن الانتحال ، ولو أنى اجتنبتُ ما اجتلبتُ من هذا وشِبهه لأوجدتُ للمعترض سبيلا إلى المقال .

= المراجع عن اسم هذه الأخت . وذكر ابن الخطيب أصله وسبب تسميته بالصحراوى واتصاله بعلى بن يوسف . وقد تولى غرناطة سنة ٥٠٠ ثم سرقسطة بعد ذلك ، وهناك صحبه أبو بكر محمد ابن الصائغ الفيلسوف المعروف بابن باجة ، وتوفى فى سرقسطة سنة ٥١٠ .

انظر : **الإحاطة** (بتحقيق محمد عبد الله عنان) ١/٤١٢ وما بعدها .